السنة التاسعة عشرة　العدد ١١　تشرين الثاني ١٩٣١

المشرق

اثران عربيّان

للاحبار الرومانيين في الماسونية

عُني بنشرهما الاب لويس شيخو اليسوعيّ

تمهيد

من الادلَّة الساطعة التي تدلُّ على عناية الاحبار الرومانيين واهتمامهم بصوالح الكنائس الشرقيَّة اسراعُهم الى تنبيه رُعاتها وابنائها وتحذيرهم من الشيعة الماسونيَّة. قلنا في كتابنا «السرّ المصون في شيعة الفرمسون» انَّ هذه البدعة على صورتها الحاليَّة بطقوسها الخفيَّة ورموزها الباطلة لم تتجاوز اوائل القرن الثامن عشر. فانتشرت في انحاء اوربَّة بمساعي اوَّل منشئيها الانكليز انتشار النار في الهشيم اليابس لما صادفت في القلوب من الشوق الى مقاومة كلّ سلطة شرعيَّة دينيَّةً كانت او مدنيَّةً واطلاق العنان الى كلّ الاهواء السيِّئة والاميال الشرّيرة

وكان اوَّل من تفطَّن لمناوشها الاحبار الرومانيُّون فكشفوا اسرارها واماطوا السرّ عن مساوئها الخفيَّة. ولمَّا احسُّوا بان هذه العدوى تجاوزت حدود اوربَّة واخذت تفشو في انحاء الشرق امر المجمع المقدَّس بان يُنقل الى اليونانيَّة الحديثة والى العربيَّة والى الارمنيَّة المنشوران الاوَّلان اللذان اصدرهما الحبران الاعظمان اكليمنضوس الثامن سنة ١٧٣٨ وبندكتوس الرابع عشر سنة ١٧٥١ فطُبعا في مطبعة انتشار الايمان سنة ١٧٩٦ . واذ كان هذان الاثران في غاية الندرة في ترجمتها العربيَّة رأينا ان ننقلها من الطبعة الاصليَّة التي وقعت في ايدينا نسختُها

١　منشور البابا اكليمنضوس الثاني عشر

اكليمنضوس الاسقف عبد عبيد الله السلام والبركة الرسوليَّة

لكل المؤمنين بالمسيح

انَّا اذ قد أُقمنا باهتمام العناية الالهيَّة في سموّ النظارة الرسوليَّة بدون استحقاق

اقتضى علينا بموجب الواجب الرعائي الذي تقلَّدناهُ ان نسعى بقدر النعمة الموهبة لنا من العلاء ونهتمَّ بكل حرص ان نضع حاجزاً بازاء الاضاليل والشرور الفاشية لتُحفظ خصوصاً نقاوةُ الايمان الأُرثذكسي وتُقصى اخطار الفتن من كل العالم الكاثوليكي في هذه الازمنة الحرجة البالغة الصعوبة

ولأنَّهُ قد اتَّضح لدينا بواسطة الاخبار الشائعة انَّ بعض الخوَيات وجميَّات او اجتماعات وعصابات ومحافل وشركات مدعوَّة عموماً باخوَيَّة البنَّائين او فرامسون او ملقَّبة باسماء أخرى حسب اختلاف اللغات اخذت تمدّ وتنتشر باتّساع وتتقوَّى كلّ يوم ويُشترك بها على سواء اناسٌ من كلّ ديانة وشيعة يرتبطون برباط وثيق خفي بموجب شرائع ورسوم مخترعة منهم ويتزيَّون بزيّ كمال طبيعي كاذب ويقيّدون ذواتهم بحلف صارم على الكتب المقدَّسة تحت طائلة العقوبات الشديدة بان يكتموا بسرّ عميق الاشياء التي تجري بينهم في الخفية.

على انَّ الاثم مهما اختفى لا بُدَّ ان يفتضح يوماً ويُنادى بهِ جهراً. ولذلك مذ شاع خبر هذه الجميَّات المذكورة قد اصدرت في عقول المؤمنين اشتباهات وريَباً ثقيلة حتَّى انَّ الاكتتاب والاشتراك بتلك الجماعات صار يُعدّ عند العقلاء والاتقياء شبيهاً بالسقوط في الاثم والنفاق عينهِ لأنهم لو لم يفعلوا شرًّا لمَا ابغضوا النور في الغاية. وقد اتَّصلت جلبة هذه الشيعة الى حدّ اوجب حمل الدول على معاكستها فنُفيت من بلاد كثيرة بواسطة السلطة العالميَّة لمعارضتها سلام الممالك ولاقلاقها أمنها

فنحن اذن بما أنَّنا قد تأمَّلنا بإمعان الاضرار العظيمة التي تجرُّها هذه الجميَّات ليس فقط على هيئة البلاد المدنية بل وعلى نفوس المؤمنين وهلاكها وتحقَّقنا أنَّها تناقض مناقضة تامَّة كلّ الشرائع الزمنيَّة والفرائض القانونيَّة. وتعلَّمنا من اوامر تعالى انهُ ينبغي علينا ان نسهر ليلاً ونهاراً كالعبد الامين الحكيم المُقام على العائلة السيّديَّة لئلَّا يحاول مثل هؤلاء اللصوص ان ينقبوا البيت ويعيثوا بالكرم مثل الثعالب اعني لئلَّا يفسدوا قلوب البسطاء ويطعنوا الابرياء غيلةً رأينا انهُ من الواجب علينا ان نسدَّ في وجههم السبيل المؤدي الى ارتكاب المعاصي قبل اتساعهِ

فبناء على عدَّة اسباب عادلة صوابيَّة واضحة لدينا وبعد طلب مشورة بعض اخوتنا المحترمين كردينالية الكنيسة الرومانيَّة المقدَّسة وبعد بذلنا مساعينا الخاصَّة نحتم

ونحكم عن معرفة تامة وعزم ثابت وبملء سلطاننا الرسولي بان مثل هذه الاخويات والجماعات والشركات والعصابات والمحافل الملقبة بالبنائين او فرامسون هي مرذولة ومحرومة كما انّنا نرذلها ونحرمها بمنشورنا هذا الحاضر الدائم الثبات

ومن ثمّ نأمر بكل شدّة وتدقيق بقوّة الطاعة المقدّسة جميع المؤمنين عموماً وافراداً من اي مقام ومحلّ ورتبة ودرجة وعظمة وسموّ كانوا عوامّ او اكليريكيين قانونيين او غير قانونيين حتى المستوجب ذكرهم صريحاً وبالافراد بان لا احد لأية حجّة او سبب كان يتجاسر ان يشترك في جماعة البنائين او الفرامسون المدعوّين بهذا الاسم او باسم آخر او يعضدها او يقبلها في منازله او بيوته او في مكان آخر او يخفيها او يكتتب او يتمّن فيها او يحضرها او يعطي اذناً او اجازة لأن تجتمع في مكانٍ ما او يمدّها بشيء على اي نوعٍ كان إنْ شوراً او اسعافاً او معونةً علانيةً او سرّاً باستقامة او على غير استقامة بذاته او بواسطة غيره او يحثّ الآخرين ويجتذبهم ويحرّضهم ويقنعهم بأن يكتتبوا بهذه الشركات او يُحصَوا بها او يحضروها او يسعفوها او يعضدوها باي نوعٍ كان. بل يلزمهم الامتناع قطعاً عن هذه الجمعيات والشركات والمحافل تحت القصاص بالحرم لكل المخالفين كما سبق وذلك بذات الفعل وبدون توضيح آخر البتّة ولا يستطيع احد ان يفوز بالحلّ عنهُ من ايٍّ كان الّا منّا او من الحبر الروماني القائم بعدنا ما عدا المشرفين على الموت

ثمّ نُريد ايضاً ونامر انّ الاساقفة والرؤساء ومقدّمي الاماكن الاعتياديين او القامين للتفتيش عن الاضاليل الاراتيكيّة في اي مكان وُجدوا ان يفحصوا ويُجروا الحكم ضدّ المخالفين من اي مقام ومحلٍّ ورتبةٍ ودرجة وعظمة وسموّ كانوا وان يقاصّوهم ويؤدّبوهم بالعقوبات المستوجبة كالمشكوك بهم شكّاً ثقيلاً بالهرطقة ونمنح لكلّ من هؤلاء سلطاناً مطلقاً لأن يفحصوا ويتصرّفوا ويقاصّوا بالعقوبات المناسبة اولئك المخالفين وان أحوج الامر فليستغيثوا ضدّهم بالسلطة المدنيّة

ونُريد ان تُعتبر نُسخ هذا المنشور المسجلّة من شخص ذي وظيفة كتابيّة مطبوعةً كانت او مخطوطة مثل الرسالة الاصليّة الحاضرة عينها. ولا يُباح لاحد من البشر ان يتجاوز او يخالف بجرأة وجسارة اسطر هذا القرار وما يحتويهِ من التحريم والامر والنهي. وان أقدم احد متجرّئاً على ذلك فليعلم انهُ سقط تحت رجز الله القادر على كلّ

شيءٍ وغضب الرسولين بطرس وبولس

أُعطي في رومية بجذاء كنيسة القديسة مريم الكبرى سنة التجسُّد الالهي الف وسبعمائة وثمان وثلثين في اليوم الرابع من شهر ايَّار من السنة الثامنة لحبريَّتنا

٢ منشور سيّدنا وابينا بالمسيح

سيدنا البابا بندكتوس الرابع عشر بالعناية الالهية

الذي به تُرذل وتحرم بعض الخويات وجمعيات البنّائين او فرامسون

قد طبع في مطبعة مجمع انتشار الايمان المقدّس سنة الف وسبعمائة واحدى وخمسين

بنديكتوس الاسقف عبد عبيد الله . لذكر الامر المخلّد

انهُ قد استبانَ لنا كأمر صوابيّ لاسبابٍ عادلة تقتضي ذلك بان نثبّت من جديد ونوطّد بتأييد سلطاننا شرائع سلفائنا الاحبار الرومانيين وتحديداتهم الحميدة ليس فقط تلك التي يُخشى ان تبطل قوّتها فتلغى امّا لِمدى الزمان واما لاهمال البشر بل ايضاً تلك التي لا تزال حافظةً قوّتها ومفعولها تاماً

وبما انّ سالفنا السعيد الذكر اكليمنضوس الثاني عشر في رسالتهِ الرسوليّة المُعْرّزة في اليوم الرابع من شهر أيار سنة ١٧٣٨ الموجّهة الى كلّ المسيحيين التي اوّلها « في النظارة السامية » (In eminenti) قد رذل مؤبّدًا وحرم بعض الخويات وجمعيات او اجتماعات ومحافل وشركات ملقَّبة باسم البنّائين او فرامسون او باسم آخر اخذت وقتئذٍ تنتشر وتمتدّ كلّ يوم في بعض الانحاء . وامر كل المسيحيين فردًا فردًا تحت القصاص بالحرم بذات الفعل بدون اعلان آخر مع حفظ الحلّ عنهُ للحبر الروماني وحدهُ المالك وقتئذٍ ما عدا ساعة الموت بألّا يتجرأ احد او يتجاسر على الاشتراك بتلك الجمعيات او يدخلها او ينشرها او يعضدها او يقبلها او يخفيها او يكتب فيها او يحضرها وما اشبه ذلك كما هو مصرّح بالتفصيل في الوسائل المذكورة التي فحواها كما يأتي (وهنا نصّ المنشور السابق)

وبما انه كما بلغنا يوجد بعض من يزعمون دون ارتياب ويجاهرون به علانيةً بقولهم انّ ذاك قصاص الحرم الذي ابرزهُ سالفنا قد بطل من بعدهِ وانهُ لم يثبّت بسلطتنا كأن تثبيت الاحبار التابعين واجبٌ صريحاً لتوطيد المناشير الرسوليّة المبرزة من سلفائهم . وبما ان بعضاً من اتقياء الناس الخائفين من الله رغبوا الينا وبيّنوا انهُ

لَمفيد جداً لحسم مواربات المتفيهقين بأسرها ان نوضح مطابقة ارادتنا ونيّتنا لإرادة ونيّة سالفنا فنوليهُ قوّةً جديدة

فنحن اذن ولوكنّا اوضحنا جليًا نيّتنا هذه غير مرةٍ اذ منحنا بحلم لكثيرين من المؤمنين بالمسيح الحلّ عن الحرم الذي سقطوا فيهِ بمخالفتهم رسوم هذا المنشور بعد ان ندموا وتابوا حقًّا ورجعوا تماماً عن مثل هذه الاخويّات والجمعيّات المحرّمة وقصدوا عدم الرجوع اليها في المستقبل وفعلنا ذلك مرارًا لاسيّما سنة اليوبيل العام الماضي حيث فوّضنا الى معلّمي الاعتراف المرتّبين منّا ان يمنحوا الحلّ باسمنا وسلطاننا لهؤلاء التائبين الذين يلتجئون اليهم

ثمّ لم نتقاعد عن بذل الجدّ والاهتمام بكل حرص وتيقّظ بان يُجرى الحكمُ من القُضاة والمحاكم ضد مخالفي المنشور السابق ذكرهُ. فبهذه الامور ونظائرها قد اعطينا براهين صادقة عن نيّتنا خالية من كل ريب واثبتنا ارادتنا المطلقة نظرًا الى قوّة التأديب وفاعليّتهِ كما حتم بهِ سالفنا اكليمنضوس السابق ذكرهُ غير مبالين بما اشاعهُ بعض الناس بحقّنا اذ نحتقرهُ بطمأنينة ونترك دعوتنا لحكم الله العادل القادر على كل شيءٍ مترنّمين بتلك الالفاظ التي كانت تُتلى قديمًا في الخدمة الالهيّة كما يُروى في القنداق القديم المنسوب الى سالفنا القديس جلاسيوس المطبوع بهمّة الكردينال يوسف ماريا توماسينو الموقّر في القدّاس الذي يقال ضدّ الثالبين وهي هذه « نسألك يا ربّ ان تمنحنا بألّا نتزعزع من تمويهات عقول الاشرار بل بعد ان نطأ النفاق نتوسّل اليك بألّا تسمح ان نرهب الثالب الظالمة ولا نتمرقل بالتمليقات الخادعة بل بالحري ان نحبّ ما تأمر بهِ »

ولكن لئلّا يقال أنّنا قد اهملنا شيئاً ما يعدم صواب ممّا كان يمكننا بسهولة ان نقطع بهِ اسباب الثالب الكاذبة ونسدّ افواه المتشدّقين فبعد ان استمنا مشورة اخوتنا الموقرين كردينالية الكنيسة الرومانيّة المقدّسة قد حتمنا وحكمنا معاً بأن نثبّت باسطرنا هذه منشور سالفنا المورود منا سابقاً حرفاً حرفاً وبنوع خصوصي بحيث يُحسب اكثر اتّساعاً وفاعليّةً من الجميع. كما أنّنا نثبّتهُ ونوطّدهُ ونجدّدهُ. ثمّ نريد ونحتم عن معرفةٍ تامّة وبملء سلطاننا الرسولي وبموجب هذه الاسطر الحاضرة ان تكون لهُ القوّة والفاعليّة الدائمة في كلّ شيءٍ ولاجل كلّ شيءٍ كأنهُ قد برز منّا اوّلًا

بانعطاف خصوصي وبسلطاننا وباسمنا . وفيما بين الاسباب الثقيلة جدًّا الموجبة للتحريم والرذل الواردة في المنشور السابق ما يأتي :

(اوّلاً) الاتحاد في هذه الاخويَّات والجمعيَّات بين اناس من كلّ ديانة وشيعة . ومن هـذا يتَّضح بالكفاية كم من الاضرار الجسيمة يمكن ان تحدث للديانة الكاثوليكيَّة

(ثانياً) ارتباط اصحاب تلك الجمعيَّات بالسرّ العميق لاخفاء ما يجري بينهم من الامور . بحيث يجوز ان يُقال في تلك الشركات ما نقلهُ في دعوة اخرى مختلفة جدًّا شيشيليوس ناطاليس عن مينوكيوس فيلكس : « انَّ الاشياء الحميدة تُسرّ بالاشهار وانَّ القبيحة فترغب الاستتار »

(ثالثاً) القسم الذي يلزمون به ذواتهم لحفظ هذا السرّ بدون انثلام كأنهُ يُباح لكل انسان ان يعفي ذاتهُ بحجَّة اي وعدٍ وحلفٍ كان من وجوب كشف كلّ شيءٍ متى سُئل من السلطان الشرعي عمَّا تلزم معرفتهُ . كما لو سُئل اعضاء هذه الجمعيَّات هل يصير فيها شيء يضادّ الديانة وراحة العموم والشرائع

(رابعاً) انَّ هذه الاخويَّات لا تضادّ فقط الشرائع الدينيَّة بل والقانونيَّة ايضاً لأنَّ الناموس المدني يحرّم كلّ الاجتماعات والاشتراكات ما عدا تلك التي تلتئم باذن السلطة العليَّة كما ورد في الحقّ القانوني في باب الجمعيَّات والالتئامات الحرَّمة (ك ١١ ف ٢٢ ع ٧) او كما هو مذكور في الرسالة السابعة والتسعين من الكتاب العاشر لكايوس بلينيوس شيشيليوس سِكُندُس حيث يقـال : « انهُ لحرَّم بأمرٍ ملكيّ ان تصير اجتماعات واخويَّات بدون اذن الملك »

(خامساً) انَّ هذه الاخويَّات والجمعيَّات قد حُرّمت واستُئصلت من اقاليم كثيرة بواسطة شرائع الحكَّام الدنيين

(سادساً واخيراً) انَّ لهذه الاخويَّات والجمعيَّات سمعة رديئة عند الناس الاتقياء ذوي الحكمة . وعلى رأيهم انَّ كلّ من ينضمّ اليها يسقط في وهدة النفاق القبيح والاثم الفظيع . ومن ثمَّ قد حرَّض سلفنا نفسهُ في منشوره المذكور كلّ الاساقفة والرؤساء وباقي مقدّمي الاماكن الاعتياديين بان لا يتقاعدوا عن الالتجاء الى مساعدة السلطة العاليَّة إنْ أحوج الامر لإتمام كلّ ما مرَّ ذكرهُ

فهذه الامور جميعها لسنا نثبتها ونوطّدها إجمالًا وإفرادًا فقط ونحثّ ونحرّض ونأمر بحفظها الرؤساء الكنائسيين اجمعهم على السواء بل نحن ايضًا انفسنا بموجب وظيفة الاهتمام الرسولي المقلّد لنا نستغيث بأسطرنا هذه ونطلب بكل إلحاح من الملوك الكاثوليكيين وباقي السلطات العالمية معونةً واسعافًا لتبلغ المراسيم السابقة مفعولها لأنّ الله قد اختار الملوك العظماء والسلطات الزمنية لينصروا الايمان ويحموا الكنيسة

وبناء عليهِ يجب ان يسموا باحوال لائقة وطرائق مناسبة لتنال هذه المناشير الرسولية ما يحقّ لها من الاذعان والاكرام وتُحفظ حفظًا تامًا كما اشار بهِ اليهم المجمع التريدنتيني في الرأس العشرين من الجلسة الخامسة والعشرين وكما اوضحهُ منذ زمن قليل بكلّ جلاء السلطان كرلوس الكبير (الخامس) في الرأس الثاني من شرائعهِ حيث اردف قائلًا بعد ان اوصى كلّ الخاضعين للكهِ بحفظ التحديدات الكنائسيّة: • لا يمكننا ان نفهم كيف يستطيع الذين لا يحافظون على الامانة نحو الله ويعصون كهنتهُ ان يكونوا امناء في حقنا •. ولهذا امر كلّ حكّام المقاطعات ووزراءهُ ايضًا بان يلزموا الجميع عمومًا وخصوصًا بان يقدّموا الطاعة الواجبة لشرائع الكنيسة ورتّب عقوبات صارمة ضدّ الذين يتهاونون بتتميم ذلك ثمّ استتلى كلامهُ قائلًا: فليعلم الذين يستخفّون بهذه الاوامر لا سمح الله او يعارضونها انهم يُحرمون من المناصب في مملكتنا ولو كانوا اولادنا ولا يكون لهم محلّ في بلاطنا ولا منادمة معنا ولا اشتراك مع خاصّتنا بل سيقاصَون بشدّة وصرامة•

ثمّ نريد ان يكون لهذه الاسطر الحاضرة خطًا كانت او طبعًا اذا كانت ممضاة من احد القضاة ومسجّلة بختم شخص ذي وظيفة كنائسيّة ذاك التصديق عينهُ الذي للاسطر الاصليّة متى تقدّمت او عُرضت

فلا يُسمح اذن لاحد من البشر ان يقاوم بجرأة او يضادّ بجسارة اسطر تثبيتنا هذا وتحديدنا وتفويضنا واستغاثتنا والتجائنا وحثّنا وارادتنا . وان تجرّأ احد على ذلك متجاسرًا فليعلم متحققًا انهُ يسقط تحت رجز الله القادر على كلّ شيء وغضب الرسولين الطوباويين بطرس وبولس

أُعطي في رومية بجذاء كنيسة القديسة مريم الكبرى سنة التجسّد الالهيّ ١٧٥١ في الخامس عشر من حزيران من السنة الحادية عشرة لحبريّتنا . مكان + الختم

التصوير الشمسي المُلوَّن

للاب رفائيل نخله اليسوعي

أدّى التصوير الشمسي المعتاد في كل مجالي الحياة الاجتماعية خدماً تُذكر فتُشكر واكثرها معروف من العامَّة فضلًا عن الخاصَّة فلا حاجة لسردها في هذه المقالة بل نريد هنا الاشارة السريعة الى ما عَلِق بذلك التصوير من الشوائب وشرح الطريقتين المُثليَين اللتين اخترعهما شخصان تفتخر فرنسة بعلومهما واعمالها لاستدراك هذه النقائص

خلق الباري عزَّ وجلَّ العين البشرية ليس فقط للتمتع باشكال الاشياء من طويل وقصير وفسيح وضيّق وعالٍ ومنخفض ومجوف ومحدّب الى غير ذلك ممَّا يستطيع العميان في كثير من الاحوال معرفته بحاسّة اللمس. بل على الاخص للتنعُّم بمشاهدة الالوان البديعة التي جعلها الخلّاق العظيم من اجل حُلى الطبيعة ولم يكشفها لغير الباصرين فيصحّ القول ان مميّزة حاسة البصر هي الإحساس بالالوان ليس بالاشكال

والعمري لولا زرقة السماء الناصعة وزرقة البحار النيلجيّة وخضرة الحقول والغابات وبياض ثلوج الشتاء وصفرة اوراق الشجر في الخريف واحمرار الشمس في الصيف وامتزاج كل تلك الالوان في مئات من الصِبغات الظريفة الفتّانة بازاهر الربيع وفراشه. لولا كل تلك المحاسن الآخذة بمجامع الانظار والقلوب لأصبحت أرضنا هذه كعروس عاطل بل تعرّت عن جمال محيّاها الرائع او كادت. لذلك لم يكتفِ اهل الفنون الجميلة ولاسيَّما المصوّرون بان يرسموا بريشتهم الماهرة الرشيقة ما مثلَ امامهم او انطبع في مخيّلتهم من حسن الاشكال كالجبال الشامخة والاشجار الباسقة الوارفة الظلال والانهار الواسعة الخصبة الضفاف بل غمسوا تلك الريشة في كل الوان قوس قزح لتمثيل الالوان والهيئات معاً وعدم فصل ما جمعهُ الباري في الطبيعة لنعيم العيون والقلوب

ومن نقائص التصوير الشمسي المعتاد انهُ كان عاجزاً عن تمثيل الالوان بسوى تفاوت الدرجات في إشباعِ صبغات اللون الاسود او لون آخر مُفرد كالازرق او الاخضر. فلا بدع أنْ شحذ العلماء والخبراء قرائحهم لسدّ ثلمة ذلك التصوير وتمكينهِ من رسم كل

الالوان كما هي في الطبيعة في الاشياء والاشخاص . وها نحن الآن نبسط الكلام في خير الطرق التي اختُرعت من نحو خمسين سنة لبلوغ تلك الغاية

١ طريقة الاستاذ لبمان (Lippmann)

صاحب هذه الطريقة هو احد الاساتذة في كلية العلوم بباريس الاستاذ ليمان الشهير باختراعاته واكتشافاته العديدة وقد توفي من بضعة اشهر مأسوفاً عليه . وطريقته لا تختلف عن التصوير الشمسي المتاد الا بالميزات الآتية : ينبغي ان تكون الصفيحة الحساسة شديدة الشفوف وعارية عن ادق الحبوب المتكونة عادة على سطح المادة الحساسة . حتى اذا صُوِّب المجهر نفسهُ (او المكرسكوب) الى صفيحة ليمان لم يرَ عليها ادنى حبٍّ او خشونة بل رآها على غاية الصقل . ومتى رُكزت هذه الصفيحة عمودياً في آلة التصوير صُبَّ الزئبق على كل مساحة ظهرها العاري عن المادة الحساسة . عندئذ تُفتح الآلة كجاري العادة لتصوير ما تشاء . ثم تُفرَّغ من الزئبق واخيراً تُسحب منها صفيحة ليمان وتُعالج المعالجة الكيماوية المعتادة . فمتى انتهت هذه وجفّت الصفيحة رأيتَ على سطحها الحساس كل اشكال الشيء المصوَّر والوانهُ الطبيعية بشرط ان تمسكها عمودياً وتنظر اليها في نور الشمس ليس في ضوء اصطناعي . ولعل القارئ المعجب بسهولة هذه الطريقة يسألنا ما عسى ان يكون سرُّها ؟ . انه ليسهل علينا شرح ذلك السر الغامض على اسلوب علمي محض لا غبار عليهُ انما ذلك يفضي بنا الى مباحث طويلة عسِرة لا تروق لطالعي هذه المقالة . فلا مندوحة لنا والحالة هذه من الاكتفاء بالاشارة الى مبدإ طريقة ليمان لتصوير الالوان

قلنا ان مادة صفيحة ليمان الحساسة غاية في الشفوف فاذا ورد الى تلك الصفيحة شعاع نور من الصورة الخارجة نفذ كثافةَ تلك المادة الحساسة في احدى نقطها لكنهُ ينعكس راجعاً عودهُ على بدئهِ دون ان يجتاز الى ظهر الصفيحة بسبب الزئبق الذي يُطلى بهِ ذلك الوجه فيرجع اذن الى صورتهِ الخارجيةِ بالطريق التي جاء منها . وفي اثناء ذلك الذهاب والاياب الذي يحدث بسرعة النور — وهي ثلاثمائة الف كيلومتر في الثانية كما لا يخفى — يحلّل الشعاعُ المذكور المادةَ الحساسة

على ان كثافة تلك المادة لا يتحلّل منها الا ما يبلغ اليهِ النور فتوجد طبقات

من الفضّة الناتجة عن ذلك التحليل يتخلّلها طبقات من المادة الحساسة الباقية بدون تحليل . وتبقى المسافة بين كل طبقة من النوع الاول وجارتها من الثاني بدون تغير في كل كثافة المادّة الحساسة حيث عبّر شعاعٌ ذو لون معلوم مثلاً شعاع احمر لكنها تزيد او تنقص في كل نقطة من المادة الحساسة بحسب لون الشعاع الوارد اليها . فأقصرُ ما يكون البونُ الفاصل بين الطبقات الفضّية او المحلّلة وغيرها في اللون البنفسجي . واطول ما يكون في الاحمر . وطوله المتوسّط في الاصفر حيث يبلغ ...؛ من المليمتر . وعلى ذلك فاذا كانت كثافة المادّة الحساسة عُشر ميلمتر — وهو سمك الورق المعتاد — يبلغ عدد كل الطبقات المتتابعة في هذه الكثافة اربعمائة : منها مائتان فضية او محلّلة بتأثير الشعاع الاصفر ومائتان بدون تحليل . وذلك من الغرابة بمكان فان ذلك الشعاع يأتي في لمحة عين بعمل فيه من الدقّة الميكروسكوبيّة والتنسيق المحكم ما يعجز عنه ائمة الكيماويين والرياضيين .

فلنتأمل الآن يسيرًا فيما يحدث حين نمسك صفيحة ليبمان عموديًا ونعرّضها لنور الشمس بعد المعالجة الكيماوية في المغاطس المعروفة من كل المشتغلين بالتصوير الشمسي المعتاد . ولنعاين نقطةً معلومةً من المادة الحسّاسة أثّر فيها شعاع اصفر . النور المنتهي اليها الآن هو نور النهار الابيض بيد انه مركّب كما هو معلوم من اشعة قوس قزح السبعة وفيها الاصفر . فهذا الشعاع الاصفر يسهل عليه عبور الاربعمائة طبقة التي وراء النقطة المعاينة حيث ان هذه الطبقات تكوّنت بتأثير شعاع اصفر مثله . ومتى بلغ الطبقة الاخيرة قفل عودًا على بدء متجهاً الى عيننا فنرى النقطة المذكورة صفراء كما ان ما يقابلها في الشيء المصوَّر اصفر

امّا الاشعة الستة غير الاصفر فلا يستطيع احدها عبور الاربعمائة طبقة حيث ان البون بين كل منها والتالية لا يناسب الّا الشعاع الاصفر . فقد سبق لنا القول ان هذا البون يختلف باختلاف لون النور المحلّل لكل نقطة من المادّة الحساسة . فينتج عن الايضاح السابق انّ عيننا لا ترى في النقطة التي قصدنا معاينتها بنوع خاصّ سوى اللون الاصفر مع ان النور الوارد اليها ابيض . وقس على ذلك ما يجري في النقط الاخرى فكل منها يظهر بلون الشعاع الذي اثّر عليه حين التصوير او بعبارة اخرى بلون ما يقابل هذه النقطة في الشيء المصوّر . فتتكوّن من مجموع نقط المادّة الحساسة

التي حللها النور لاشكال تلك الصورة الخارجة والوانها الطبيعية

ولو اتسع بنا المقام لبرهنا القارئ على كون الالوان المتنوعة والمتغيرة التي نشاهدها في عرق اللؤلؤ (nacre) وفقاقيع رغاوة الصابون بتأثير نور النهار مسبَّبة ايضاً عن علة شبيهة جداً بالتي تُلوّن صفيحة ليبان بالوان الشيء المصوَّر

لكنَّهُ مع ما صادفتهُ طريقة الاستاذ الفرنسوي المخترعة سنة ١٨٩١ من الرواج في دوائر العلماء فانها بقيت خارجاً عن المقامات العملية ولاسيما الصناعية . واسباب الكساد عديدة نكتفي بذكر اهمها : ١ً صفائح ليبان غالية بسبب اتقان صقلها وخلوّ سطحها من ادقّ التنوّ - ٢ً مدّة عرضها لاشعة الشيء المصوَّر تبلغ بضع دقائق في نور الشمس وذلك وقت طويل جداً بالنسبة الى التصوير المتاد فهذا فجائي تقريباً - ٣ً لا يمكن ازالة بعض شوائب الصورة الملوَّنة كما يسهل ذلك في الصور الشمسية غير الملونة - ٤ً اخيراً لم يتوصل ليبان الى نقل صور صفائحه الملونة على الورق فتبقى كل صورة منفردة غير قابلة للتمثيل المتعدّد . ويلوح لنا ان هـذا النقص الاخير هو اعظم نقائص طريقة ليبان الذي حال دون انتشارها وتعميمها في الثلاثين سنة المنقضية منذ اختراعها . ومع ذلك فاننا لا ننكر البتة فضل الاستاذ الفرنسوي بل نقرّ له بطول الباع في علم النور وبُعد النظر وعلو الهمة في تسخير ميادنه الراهنة للتصوير الملون

٢ طريقة لوميار

توفّق لوميار (Lumière) الطائر الصيت بابداع السيناتغراف من نحو عشر سنوات الى حل مشكل تصوير الالوان على اسلوب اكمل من طريقة ليبان مع انه لم يتمكّن من تكثير الصور المأخوذة عن صحيفة واحدة كما يجري ذلك في التصوير الشمسي المتاد

لا يندّ عن ذهنك ايها القارئ اللبيب إمكان صوغ كل الالوان بل كل صيغانها المتعددة بواسطة مزيج معلوم من ثلاثة الوان تُدعى جوهرية او اساسية وهي مثلاً النارنجي والاخضر والبنفسجي . ذلك المبدأ المؤيد بالاختبار هو ركن طريقة لوميار . اما الصفيحة الفوتغرافيَّة التي اخترعها فهي عبارة عن لوح من الزجاج المتاد على احد وجهيه طبقة من جيلاتينو برومور الفضة (gélatino-bromure d'argent) وعلى كل مساحة هذه الطبقة الملاصقة الزجاج قد نُثرت آلاف مؤلفة من حبوب نشويّة

المادة شفّافة يبلغ قطر كل منها نحو $\frac{١}{١٠٠}$ من المليمتر بعضها نارنجي اللون والبعض اخضر والباقي بنفسجي على شرط ان تمتزج هذه الالوان الثلاثة امتزاجاً كليًّا في كل نقط طبقة الجيلاتينو برومور

ففي حين التصوير تُـداور الجهة المجرَّدة من الحبوب والجيلاتينو برومور من صفيحة لوميار الى الشيء المراد تصويره . فلنرَ الآن ماذا يحدث بعد معالجة هذه الصحيفة في المناطس الكيماوية . ولنفحص احدى النقط في الجهة المجرَّدة من الصحيفة ندعوها لزيادة الوضوح النقطة ن أثَّر فيها شعاعٌ اخضر مثلاً فمن العجب العجاب أنَّنا اذا عاينّاها في نور الشمس نراها ملوَّنة ليس بالخضرة بل باللون الارجواني . وما سرُّ ذلك التغيير المدهش ؟ أعِرْ اليَّ سمعك ايها القارئ الذكيّ فلا تلبث ان تحيط بهِ . ان الشعاع الاخضر الوارد من نقطة معلومة من الصورة الخارجة الى النقطة ن من صفيحة لوميار اخترق لوح الزجاج وصادف خلفه مئاتٍ من الحبوب الشفّوية منها النارنجية ومنها الخضراء ثم البنفسجية . قلنا «مئات من الحبوب» مع اننا نتكلم عن نقطة لا غير من الصفيحة لان تلك الحبوب ذات صغرٍ مكروسكوبي كما سبقت الاشارة . فالشعاع الاخضر يجتاز بغاية السهولة الحبوب الخضراء ويحلّل من ورائها النقط المحاذية لها من المادة الحساسة وهي الجيلاتينو برومور فتصبح تلك النقط على اثر ذلك التحليل والمعالجة التالية في المناطس الكيماوية غير شفّافة . والحالة هذه فاذا صوّبنا النظر الى النقطة ن من الصفيحة الفوتغرافية فالشعاع الاخضر الموجود في نور الشمس الابيض لا يستطيع الوصول الى عيننا من النقطة ن بسبب عدم شفوف نقط المادة الحساسة التي وراء كل الحبوب الخضراء اللاصقة للنقطة ن . امّا الشعاع النارنجي والشعاع البنفسجي الموجودان ايضاً في نور الشمس فانهما يصلان الى مقلتنا بعد عبور نقط المادّة الحساسة التي وراء كل الحبوب النارنجية والبنفسجية اللاصقة للنقطة ن . وسبب ذلك ان تلك النقط من المادة الحساسة بقيت شفافة حيث لم يحللها الشعاع الاخضر الاصلي نعني الشعاع الوارد من احدى نقط الشيء المصوَّر الى النقطة ن .

ومتى امتزج في عيننا الشعاعان النارنجي والبنفسجي السابق ذكرهما تكوَّن منهما اللون الارجواني ولذلك نرى النقطة ن ارجوانية كما اسلفنا . والارجواني يُسمّى في اصطلاح علماء الطبيعة اللون المُتمّ (complémentaire) للاخضر حيث ينتج من

جمعها اللون الابيض ·وعلى وجه الاطلاق يقال ان لوناً ما متمّ لآخر اذا نجم اللون لابيض من اتحادهما· فاذا فهمت شروحنا السابقة — ولا صعوبة فيها للقارئ المتأني المنتبه — اتضح ان كل نقطة من صفيحة لوميار تتلوّن على اثر العلاج الكيماوي المتاد باللون المتم للونِ المقابل تلك النقطة في الشيء المصوَّر ·فيلزم حينئذٍ معالجة الصحيفة علاجاً آخر لاستعادة الالوان الطبيعية ·وخلاصة هذا العلاج ان تُزال المادة الحساسة في النقط التي فقدت فيها شفوفها على اثر تحليلها بتأثير الاشعة الواصلة اليها· ينال ذلك بغطس صفيحة لوميار في محلول برمنغانات البوتاس(permanganate de potasse) الممزوج بقليل من الحامض السلفوريك· ثم تُعرض الصفيحة لنور الشمس · فلنرَ الان تأثير هذا النور على النقطة ن

الشعاع البنفسجي والشعاع النارنجي المحتويان في نور الشمس يجتازان بكل سهولة الحبوب التي من لونهما وراء النقطة ن ثم يحلّلان خلف تلك الحبوب المادة الحساسة فيُفقدانها شفوفها — اما الشعاع الاخضر المحتوى ايضاً في نور الشمس فهو لا يستطيع مثل ذلك التحليل لانّ المادة الحساسة الواقعة وراء الحبوب الخضراء قد أُزيلت في محلول برمنغانات البوتاس السابق الذكر

فيترتب على ذلك اننا اذا صوّبنا الآن نظرنا الى النقطة ن رأيناها خضراء كالنقطة القابلة لها في الشيء المصوَّر لان الشعاع الاخضر وحده يستطيع الوصول الى عيننا بعد عبور نقط شفّافة من المادة الحساسة · وعلى هذا النمط نرى كل نقطة من صفيحة لوميار ملوَّنة بذات اللون الذى يقابلها في الشيء المصوَّر

ان طريقة لوميار المخترعة من نحو عشر سنوات فاقت برواجها كل ما سبقها من طرق التصوير الملوَّن ولاسيما طريقة الاستاذ ليبمان التي كادت تنحصر في الدوائر العلمية ·وسبب ذلك ان للاولى على الثانية مزايا هامّة من الوجهة العملية وهي عدم الاحتياج الى الزئبق الشديد الثمن والمثقِل كثيراً لآلة التصوير — ثم سرعة التصوير تكاد تبلغ سرعة التصوير المتاد — وزد على ذلك ان صفائح لوميار بعد انتهاء معالجتها الكيماوية تكون ملوَّنة في حدّ ذاتها بسبب حبوبها الثلثة الالوان (راجع شرحنا السابق) · اما صفائح ليبمان فليست ملوَّنة في حدّ ذاتها بل نراها عيننا ملوَّنة بسبب تحليلها لنور الشمس الابيض الوارد منها الى مقلتنا

وعلى كل حال فكلتا الطريقتين لا تمكّن كما اسلفنا من تكثير الصور المأخوذة عن صفيحة واحدة على الورق الفوتوغرافي. وبسبب ذلك النقص العظيم نرى حتى يومنا هذا طريقة لوميار هذه قليلة الرواج رغماً من كمالها النسبي . والله المسؤول ان يهدي ذوي القرائح الوقّادة الى سدّ هذا الخلل الجوهري في المستقبل العاجل

المذهب الدرويني واصل الانسان

لحضرة الاب اسكندر طوران اليسوعيّ (تابع)

نَسَل الانسان واصلهُ

انَّ مسئلة اصل الانسان ذات شأن عظيم ولذلك لا بدَّ من فحصها فحصاً منفرداً مدققاً. انَّ دروين في كتابهِ الاوَّل المعنون «باصل الانواع» لم يتعرَّض للبحث عن اصل الانسان فلمَّا شاع كتابهُ وتمذهب بمذهبهِ بعض تلامذتهِ فتجاوزوا حدودهُ واطلقوا رأيهُ على نسب الانسان حذا هو ايضاً حذوهم وانتمى الى قولهم بعد اثنتي عشرة سنة في كتابهِ «اصل الانسان» وزعم على مثالهم انَّ الانسان بلغ الى حالتهِ من العقل والنطق بعد الدهور بعد ان مرَّ بسلسلة تحوُّلات عديدة وترقّى بالتدرُّج من البهيمة الى حيوان ناطق. ويمأل ذلك بستّة ادلَّة هي كما ترى :

١ انَّ بين الانسان وبين ذوات الاثدي من الحيوان شبهاً عظيماً من حيث تركيب الجسم والصورة العموميَّة ففي كليهما مشابهة في العظام والاعصاب والعضلات ومجاري الدم والاحشاء حتّى الخ

٢ يستطيع الحيوان ان يُعدي الانسان بعدَّة امراض واوبئة كما انَّ الانسان على عكس ذلك يمكنهُ ان يُعدي الحيوان كما ترى مثلاً في الكَلَب . وهذا دليل على شبه دمهما

٣ انَّ بعض الحيوان يأنس بما يأنس بهِ الانسان كالقرد مثلاً الذي يستطعم القهوة والشاي والتبغ والاشربة الروحية وبهِ يثبت انَّ لكليهما ذوقاً واحداً ومعدة متشابهة

٤ يرعى اجسام ذوات الاثدي الكبرى والبشر عدّة حشرات متطفّلة تتشابه جنساً ان لم تتشابه نوعاً

٥ انّ النطفة البشريّة ونطفة الحيوان في بعض تطوّرهما كأجنّة في بطن الامّهات لا تكادان تختلفان صورةً ومادّةً . وهذا الامر يعدّه الدرويّنيون كاحد الامور الجوهريّة في تأييد مذهبهم

٦ انّ لكل ذوات الثدي وفي جملتها الانسان في بعض انحاء اجسامها الخارجة او الباطنة شيئاً من الاعضاء الأثريّة الدالّة على انّها امّا بقايا بعض الاجهزة التي بطل استعمالها قبل تطوّر اصنافها وامّا هي اعضاء جديدة سوف تقوى وتبلغ يوماً كمالها

هذه هي الادلّة التي استند اليها درون وفيها من ظواهر الحقيقة ما لعلّه يؤثّر في عقول البسطاء ويدفعهم الى الانضواء الى رأيه في اصل الانسان فدعنا نسبر بمعيار العقل هذه الادلّة ونبحث عن حقيقتها الوهميّة فنقول :

انّ الادلّة الاولى الاربعة تعود الى دليل واحد لا غير لأنّ من الدليل الاوّل تشتقّ الادلّة الثلثة التالية ويمكننا تفنيدها بهذا الجواب الاجمالي : ان كان الله عزّ وجلّ قد شاء بعنايته ان يكون جسم الانسان شبيهاً بصورة الحيوان من حيث هيكله ومشاعره واجهزته فبديهي انّه اراد ايضاً ان يكون التشابه في الدم والاحشاء والمعدة الخ كما اراد ايضاً ان يكون بينهما تشابه في الامراض والذوق والحشرات المتطفّلة ...

امّا الدليل الخامس فلا نتّسع بتفنيده لأن ذلك من امور الاختصاصيين . على أنّنا نستطيع القول بان هذا التشابه بين الاجنّة ليس هو ثابتاً لأنّ هكلاً حاول اثبات قوله في ذلك زوّر صور الاجنّة وبيّن العلماء كذبه وخداعه (المشرق ١٣ [١٩١٠] ٧١٩)

فلكي نجيب على دليليه الباقيين الاوّل والسادس ها نحن نبسط الكلام في تلك الاعضاء الاصليّة الأثريّة وفي التحوّلات التي يزعم درون انّها كانت المسبّبة لها ثمّ نعتبر الاختيار التناسلي الذي يدّعي درون انّه اكبر عامل لتلك التحوّلات والترقّيات واخيراً نبحث عن الشبه الموجود بين جسم الانسان وجسم الحيوان (١

١) النصوص التي نقلها عن درون اخذناها عن الطبعة الثالثة من ترجمتها عن اصلها الانكليزيّ (الطبعة الثانية) بقلم المسيو ادمون بربيه (Ed. Barbier)

١ الاعضاء الاثرية ومذهب التحول

قال داروين : « لا مراء في انّ لكثير من الحيوان اعضاء غير تامة البنية يمكن الاستدلال منها انها موروثة من اجداد سابقين فضمرت وضعفت لقلة الاستعمال » مثال ذلك ان لبعض ذوات الثدي كاصابع أثرية تُرى في الكلب والحصان »

ونجد في الانسان نفسه بعض الاعضاء الخارجة او الباطنة الضامرة التي يتوهم الناظر اليها انها آثار لحالة سابقة وُجد فيها فمن ذلك تركيب الآذان والزُغَب المنتشر على الجسم والمقاعم اي الفقرات في اسفل سلسلة الفقار · أليست هذه الآثار في الحيوان والانسان بقايا اعضاء اضحت اليوم دون جدوى وصوراً لأجهزة سابقة تعطلت او لأجهزة مستقبلة سوف تتكوّن في الاجسام ? والّا فما هي يا تُرى الفائدة من هذه الاعضاء الزائدة ?

قبل ان نجيب على اعتراض داروين في هذه الاعضاء الاثرية المعتلة او المتحولة على قوله دعنا نقدّم على ذلك ملحوظاً عمومياً . الى اي شيء يستند داروين واصحابه في زعمهم ان هذه الاعضاء الاثرية موروثة من اجداد سابقين وانها قد تعطلت بتمادي الزمان او انها مبادئ اعضاء مستقبلة ? أليس تفسيرهم هذا احد اوهامهم المصولة على التخيلات دون الوضعيات المعهودة ? فلو كان مذهب التحول مثبتاً بالبراهين المقنعة لأمكنهم ان يؤيدوا تلك البراهين بهذه الادلة . امّا ان يجعلوها اساس مذهبهم فذلك مخالف للنظريات وللقياس المنطقي

ثمّ ان صحّ افتراضهم انّ تلك الاعضاء موروثة من الاجداد وجب عليهم ان يبيّنوا لايّ سبب بعد ضعفها وضمورها لم تبلغ القوى الطبيعية الى نفيها وملاشاتها مع انهم ينسبون الى تلك القوى القدرة على توليد اعضاء جديدة . وكذلك افتراضهم انّ هذه الاعضاء الاثرية هي اصول اعضاء سوف تكمل في المستقبل مبنيّ على الوهم اذ ينسبون الى الطبيعة العمياء العمل لغاية معلومة ومقصودة من سابق الازمنة وهذا يتجاوز طور المذهب الدارويني القائل بالانتخاب الطبيعي لأن العمل لغاية يدلّ على عقل فائق الطبيعة يرشدها الى تلك الغاية

ثم يمكننا القول مع بعض الكتبة انّ هذه الاعضاء التي نراها عقيمة دون جدوى

في حياة الانسان البالغ لا يُستبعَد انَّها مفيدة للمولود في طور حياتهِ كجنين في بطن امهِ لانَّ تلك الحياة سرٌّ غامضٌ لم يدرك العلماء حتَّى الآن دقائقهُ

وقد اعترف دروين عينهُ في كتاباتهِ الاخيرة انهُ في تآليفهِ السابقة نسب الى الاختيار الطبيعيّ قوَّةً زائدة قال (ص ٦٥ من كتابهِ في اصل الانسان) عن هذه الاعضاء الاثريَّة: «انهُ لمن المحتمل كما يظهر لي اليوم انَّ في تركيب كلّ الكائنات ذات الاجهزة الآلية ومن جملتها الانسان بعضَ الخواص التي ليس منها فائدة في الحاضر ولا في الازمنة السالفة ولا اهميَّة لها فيزيولوجيَّة»

هلمَّ بنا الان نتبع دروين في بعض تفاسيرهِ التي اخترعها لتعليل اصل تلك الاعضاء وما طرأ عليها من التقلُّبات وما بقي من آثارها. فمنا ضربهُ مثلًا على ذلك الثُّندوتان الظاهرتان في صدر الذكر من ذوات الثدى فيزعم انَّهما كانا في الاصل ثديَين كاملين كما في صدر النساء يرضعون بهما مثلهنَّ صغارَهم لكنَّ الذكور أهملوا ذلك وخصُّوهُ بالنساء فصغر في صدرهم حجمُ الثديين فأصبحا ثندوتَين. وهو تفسير عجيب لا اثر لهُ في علم الطبيعة وقد اتى بهِ صاحب المقتطف في بعض اعدادهِ

ومثلهُ قولًا وهميًا في ثنايا الحيوانات المجترَّة التي لا تُرى بين اسنانها وهي مع ذلك في مكانها تغطّيها اللثة فيزعم دروين انَّها اصلُ لثنايا سوف تظهر يومًا في المستقبل ويزعم — وهذا من باب المضحكات — انَّ الزغَب اي الشَّعَرات التي تُرى منبثَّةً على بدن الانسان انَّما كانت في اوَّل الامر صوفًا يكسو جسدهُ كبقيَّة الحيوانات. ومثلهُ تحكّمًا قولهُ ان المآقم التي في اسفل سلسلة الفقرات كانت عَجْب ذَنَبهِ الطويل كالحيوان

وان سألتَ دروين وكيف حصلت هذه التحوُّلات فانَّهُ يأتي بأجوبة تُضحك الثكلى وهو يعدُّها كأجوبة مقنعة. فاسمع كيف فقد الانسان صوفهُ الذي كان يوشّح جسمهُ. ظنَّ دروين باديءَ بدءٍ انَّ ذلك ربَّما حصل بفعل الشمس او بتأثير الامكنة التي استوطنها. ثمَّ حدَسَ بانَّ الانسان الاوَّل رأى صوفهُ مأوى للحشرات الصغرى فنبذ ذلك الصوف. وفي آخر الامر ارتأى انَّ الامر حصل بنتف ذلك الصوف من الجسم لاسيَّما المرأة التي حاولت تجرُّدَ جسدها تنقُّفًا ورغدًا فجاء نسلها منتوف الشعر ممسوح الجلد

ومن مضحكات دروين ومبكياته شرحهُ لفقد الانسان ذَنَبهُ قال (ص ٦):
« على ما يظهر لنا ان الانسان كما القرود الشبيهة بهِ قد فقد ذنبهُ بالاحتكاك او بالجروح التي تعرَّضت لهُ بما لا يُحصى من الدهور. ثمَّ انَّ عَجْب الذَنَب صَغُر وتضاءل في البدن فدقَّ حجمهُ وتغيَّرت هيئتهُ ليصبح مُناسباً لانتصاب القامة في الانسان او لنصف انتصابها في القرد »

ولعلَّك تتصدَّى لدروين وتقول لهُ: ان كان الاحتكاك او الشَّجّ قد كفيا لازالة ذَنَب الانسان فكيف ثبت الذَنَب في الكلاب والهِرَرة وكلاهما يقعد عليهِ غالباً؟ فمن اين الاختلاف؟

وعلى رأي دروين ان طيَّاتِ الآذان وغُضونَها الخارجة الصَّدَفيَّة الشكل هي اعضاء اثريَّة كانت سابقاً طويلةً متطرّفة وذات حركة كالحيوان فأُصيبت بأذًى ما فقصرت واصبحت ساكنة اخفَّ سمعاً من البهيمة

وكذلك الشمّ فانَّ الانسان فقد شيئاً من حدَّتهِ التي تُرى في البهائم. وذلك على قول دروين لأن الحيوان في غاية الحاجة الى حاسَّة الشمّ ليُرهق صيدهُ وليتّقي عدوَّهُ وان سألت دروين: وما سبب ضعف هذه الحاسَّة في الانسان؟ اجابك: لأنها اقلّ فائدةً لـهُ. يا للجواب المضحك! وكيف تزعم ان القوَّة الشامَّة اقلّ فائدةً للانسان وانت تفترض الانسان في فطرتهِ الطبيعيَّة أفما كان اليها في حاجة ماسَّة لطلب قوتهِ ولادراك رائحة عدوّهِ؟. ألا ترى انك تجعل الانسان ادنى من الكلاب التي امتازت بشمّها العجيب بل ادنى من كلّ الحيوانات التي تميّز بشامَّتها قوتَها فتختار صالحهُ وتحيد عن ضارّهِ؟

وان شئتَ ان تعلم كيف يشرح دروين انتصاب الانسان على رجليهِ على خلاف الحيوانات الدابَّة فأَصغِ بسمعك الى هذه الفكاهة الجديدة قال:

« رأى الانسان انهُ لا يقوى على السَّيطرة الَّا اذا استمان بيديهِ واتخذهما كآلتين توافقان مذعنتَين لإرادتهِ... على ان ذلك ما كان ليتسنَّى لـهُ الَّا ان يخصّ يديهِ باعمال غريبة كإعداد الاسلحة ورمي الحجارة ورشق السهام الخ. وذلك كلُّهُ كان يستدعي ان يلقي بثقل جسمهِ على ساقيهِ ورجليهِ... وناهيك بهذا السبب تعليلًا لاختيار الانسان لانتصاب قامتهِ. ولكن يوجد اعمال كثيرة اخرى تضطرّ الانسان الى تحرير ذراعيهِ وهيئة صدرهِ واعلى جسمهِ

ليستقرّ على رجليهِ ثابتاً . ولكي ينال هذه الغاية المرغوبة قد انبسطت رجلاهُ وانتصبا ثمَّ تغيّرت صورة ابهام الرجل فلم يعد يستطيع الانسان ان يقبض برجلهِ شيئاً »

فيا لها من شروح عجيبة غريبة بل من سفاسف تافهة ! كيف أمكن دروين ان يعرضها على قرّائهِ بلا مزاح ! فانّهُ اعتبر الانسان كقردٍ اوسع فهماً من رصفائهِ فخصَّ نفسهُ باعمالٍ دقيقة أدّت بهِ الى ان يمشي منتصباً . فكم هناك من المستحيلات التي رضي بها دروين دون ان يسندها الى سبب معقول . وما لهُ لا يثبت صحّة قولهِ بتربية صغار القرود لتفوز كأسلافها بمزايا البشر كما فعل بعض المتهوّسين في هذه السنين الاخيرة فما ادّت مساعيهم الّا الى الفشل والخيبة وربّما عرّضوا نفوسهم الى شراسة اولئك الحيوانات الكريهة كما حدث لذلك اليونان الذي ذهب ضحيَّة موانستهِ لقردهِ

ولعلّك تريد ان تقف على الحلقات التي وجدها دروين ليثبت تناسل الانسان من القرد . وقبل كلّ يجب ان نروي اقرارهُ بانّهُ حتّى اليوم لم يمكن احداً ان يبيّن وجود حلقةٍ تجمع بين العاقل وغير العاقل فانّهُ يكرّر ذلك غير مرّة . قال (ص ١٥٨) : « انّ الانسان يتناسل من جنس ادنى من جنسهِ ولو لم نقف حتّى الآن على الوصلة الجامعة بينهما » . وقال (ص ١٧٠) : « انّ بين الانسان والنسل السابق الذي تفرّع منهُ هاويةً عظيمة لم يمكنّا بيان الجسر الجامع بينهما سواء كان بين الحيوانات المعروفة حاضراً او البائدة سابقاً »

ومع اقرار دروين بهذه الحقائق تراهُ يتقطّع في كلامهِ ويتفيهق ويزعم انّ الانسان من احد اجناس القرود المفقودة والقرودَ من جنس حيواناتٍ موجودة في جزيرة مدغسكار تُعرف باسم ليموريان (Lémurien) وانّ الليموريان من جنس المرسوبيو (Marsupiaux) المختصّة بكيس في صدرها تأوي اليهِ صغارها . وهؤلاء ينتمون الى حيوانات في اوسترالية تدعى مونوترام (Monotrême) ويتنزّل منها الى الإسماك ثمَّ الى دعاميص الضفادع . والدليل على انّ اصل الانسان الاوّل من مولودات بحريّة تأثير القمر في جسمهِ كما يؤثر في مياه البحر وحيوانهِ بالمدّ والجزر . زه ! زه !

فالى هذه الدرجة من الخرافات والترّهات يبلغ بعض العقلاء اذ يصمّون آذانهم دون صوت الوحي ففي كلّ بيداء يهيمون . واذا عجزوا عن فكّ الاعتراضات التي يقدّمها لهم خصومهم لا يجيبون بغير تكرار اعتقادهم بمذهب التحوّل والترقّي

فيطلبون من مشايعيهم ان يذعنوا الى كلامهم ويقبلوهُ مطيعين لحكمهم طاعةً عمياء.

وربَّ سائل يسأل ان كان دروين متشبثاً بمذهبهِ هذا المنافي للحقائق الثابتة فما كان يا تُرى معتقدهُ في آخر حياتهِ عن وجود الخالق وخلود النفس وعن وحدة او كثرة النوع البشري؟

لا شكَّ في ان دروين قرَّر دون تردُّد وحدة جنس الانسان مع اعترافهِ بصنوفهِ المختلفة كما انَّ للنوع الواحد من الحيوان ضروباً مختلفة تدلُّ على اصلها الواحد ويثبت دروين رأيهُ بقولهِ (ص ٦٦٠) «انَّ بين عناصر البشر المتباينة تشابهاً من وجوه شتَّى سواء كان في تركيب اجسامهم ام في خواصهم العقليَّة حتَّى انهُ لا يجوز مطلقاً ان ننسب تلك الخواص الى غير وحدة اصلهم واكتسابهم تلك المزايا بالوراثة»

ولعلَّك تسأل وكيف يوفّق دروين بين عقيدة وجود الله الخالق ومزاعمهِ في ذاك الترقّي الطبيعيّ في طبقات الحيوان من اوهامها الغريزيَّة الى النطق والادراك؟ هذا شيء لا يوضحهُ صريحاً وما لا ريب فيه انهُ يعتقد وجود الله ويعترف بهِ خالقاً. ومما يثبت قولنا ما نُقل عنهُ (ص ٩٦) اذ يُلقي على نفسهِ هذا السؤال الآتي: هل اعتقد الانسانُ باديء بدء وجود الله؟ فقبل ان يجيب على هذا السؤال يروي اقوال بعض ارباب الاسفار عن شعوب همجية زعموا انَّ ليس في لغتهم كلمة للدلالة على الله (١ ثمَّ يردف دروين قائلًا: «ولا حاجة الى تنبيه القرَّاء على انَّ سؤالنا عن معتقد الانسان الاوَّل وبعض الشعوب بوجود الله يختلف عن سؤال آخر أعلى درجةً وارفع مقاماً اعني حقيقة وجودهِ تعالى التي اجمعت في كلّ الازمنة العقول النيِّرة على اثباتها بالايجاب»

كذلك قد صرَّح دروين عن اعتقادهِ بخلود النفس فمن جملة ما تفوَّه بهِ قولهُ (ص ٦٧١): «بديهيٌّ ان يتساءل ذاك الذي يرتاي ترقّي الانسان من الحيوان كيف نوفّق بين هذا الرأي مع خلود النفس؟... لكن أيَّة حاجةٍ لنا ان نعرف بتدقيق في أي زمن من اطوار حياتهِ يُضحي المولود خالداً سواء كان ذلك قبل ميلادهِ او بعدهُ. فليس في جهلنا ذلك في مسير حياتهِ الراقية ما يوجب القلق... وكما انَّ

١) قد فنَّد كثيرون من المرسلين الكاثوليك هذه الرواية وبيَّنوا اعتقاد أبعد الشعوب من الحضارة والتمدُّن بوجود اله يدعونهُ باسماء مختلفة ويتصوَّرونهُ على صور شتَّى

عقلنا لا يستطيع تحديد زمن تطوُّر الانواع وتحوُّلها من طبقة الى اخرى كذلك في حياة الافراد ظواهر متعددة يعسر علينا تمييز خفاياها ولا يرضى العقل بنسبتها الى مفعول قوة عمياء »

فهذا الكلام لا يمكن تفسيره ُ الَّا بان يقال انَّ للخالق عزَّ وجلَّ فعلهُ الخاص في اطوار حياة الانسان وانهُ هو الذي يمنح النفس البشريَّة خلودها وان كنَّا نجهل بالتدقيق في اي زمن من حياته ينال الولد تلك النفس الخالدة

فهذه النصوص التي رويناها لدروين تبيّن انَّهُ في اواخر حياته ثبت على اعتقاده بوجوده تعالى وبخلود النفس وانَّهُ لم يجنح الى مذهب المادّيين وان كان أتسع في رأيه عن تحوُّل الانواع وترقّيها وبلغ الى القول بانَّ اصل الانسان من جنس القرود. وهذا ايضاً ما اعلن به الانكليز مواطنوهُ لمَّا احتفلوا قبل بضع سنين بتذكار مولده المئوي فاقاموا له حفلات مدنيَّة ودينيَّة معاً اشارة منهم انهم لا يعتبرونهُ كأحد جحدة اللاهوت والكفَّار. كيف لا وهو القائل: « اني ما كنت مطلقاً زنديقاً ولم انكر وجود الله . . . واظنُّ انَّ مذهبي في النشوء والترقّي ليس يناقض حقيقة وجود الله »

٢ الانتخاب التناسلي وتأثيره في الحيوان

احسَّ دروين بضعف حججه لتأييد مذهب النشوء والتحوُّل ولذلك اطال الكلام في كتابه عن اصل الانسان وجمع كلَّ ما امكنهُ من التغييرات الواردة في الحيوان ولاسيَّما في ذوات الثدي ظنّاً منهُ انهُ يقتنع بها القرَّاء.

وممَّا يجعلهُ في مقدّمة العوامل لاثبات زعمه الانتخاب النَّسلي الداخل في ضمن الناموس المعظم اي الانتخاب الطبيعي. ومرجع الانتخاب النَّسلي الى وجود جنسي الذكر والانثى في عامَّة الحيوانات حتَّى الهوام فيقول دروين ان طبع الجنسان على ان يجمعا تدريجاً قواهما الخاصَّة بهما مع بقيَّة المزايا اللاحقة بها ليورثاها نسلهما من بعدهما

والثابت انَّ هذا القول يأتي دروين بوصف عدد عديد من الاعضاء والاجهزة الثانويَّة التي استلزمت الطبيعة بالعموم وجودها او استدعى الافراد تركيبها. على انَّ دروين لنزاهة اخلاقه وجد كثيراً من الامور التي تخالف اقواله والمبادئ التي وضعها. وها

نحن نثبت شيئاً منها قال : « ان الذكور عادةً اقوى من الاناث لانهم معرَّضون للقتال ولذلك يجب ان يكونوا مسلَّحين ولهذا قد أُعطي اصناف كثيرة من الحيوان اسلحة دفاعية وهجومية كالقرون في الخراف والانياب في السباع فترى قرون التيوس اطول من النعاج وكذلك انياب ذكور السباع اعظم من انياب الاناث . لكنَّ هذه القاعدة لا تصح كما لاحظ داروين عينهُ في قرون المعز الملتوية الى الوراء غير الصالحة للمقاتلة . وكذلك الايائل فانَّ قرون ذكورها آفةٌ لها في الحرب لافراط طولها فتنشب في الادغال وتشتبك بقرون اخصامها . فلا يستطيع داروين ان يطبّقها على قاعدته الّا بقوله ان تلك فَلَتات الطبيعة او غاية تلك القرون الزينة لا التسليح والقتال

وربما يجد داروين تقصير الانتخاب التناسلي في بلوغ غايته فينسب للحيوان نظرًا سابقًا وسعياً وراء غاية مقصودة كقوله عن ظبي ذي قرون مروَّسة حادة : « انَّ الظبي الاول الذي خُصَّ بقرون محدَّدة اصاب ذلك صدفةً من الطبيعة الّا انَّهُ رآها مفيدة فأورثها نسلهُ من بعده » (ص ٥٦٣)

وقال ايضاً : « انَّ الاصوات الرخيمة والريش الفاخر في الطيور قد حظيت بها الذكور دون الاناث وذلك من مفاعيل الانتخاب التناسلي لانَّ الذكور نوت بذلك استلفات نظر الاناث وإطرابهنَّ عند حضانتهنَّ » ولكن ليس ذلك مطَّردًا وربما تساوى الذكور والاناث في كثرة الالوان او شبهها فكيف يفسّر داروين ذلك ? انَّ هذه الاعتراضات لا تعيق داروين فانهُ يرى لكل شيءٍ جواباً ساء او حسن . قال : « انَّ لبعض الطيور الوانًا كثيرة لانها ما وُجدت في احوال توجب تغيير تلك الالوان او لأنها تتفضل الالوان البسيطة كالابيض والاسود على سواهما . ولربَّما حصل ذلك بالانتخاب النسلي فاختارت الطيور تلك الالوان القاتمة لتأمين حياتها من العدوّ » (ص ٢٠٨) . فترى كيف يتملَّص داروين من الاعتراضات على اقاويله وتتنقّد قواعده بكثرة شذوذها

وكذلك تتنوَّع شروحهُ على انتقال خواص الحيوان من الجدود الى الخلف في اصنافها بالوراثة ذكورًا كانت او اناثًا . فتارةً يزعم انَّ الذكر وحده يورث الذكور من جنسه خواصَّه كالديك مثلًا اورث الديكة عُرفهُ ومخالبهُ وتارةً يزعم انَّ الاناث ايضاً تنال بالوراثة بعض خواص الذكور . وحيناً يقرُّ « باننا في اغلب الاوقات لا نعلم

لايّ سبب تنتقل بعض الخواص بالوراثة الى الجنسين ، مأ بينما خواصّ اخرى لا تنتقل الّا الى جنس واحد وهو الجنس الـذي ظهرت فيهِ هـذه الخواصّ لاوّل مرّة » (ص ٢٠٠) . فما لك اذن يا دروين ان كنت جاهلًا لاسباب كلّ هذه الشواذات تبني اقوالك على مبادئ عموميّة لا تستطيع تعليلها في مواطن كثيرة ؟

وقد حاول دروين ان يبيّن انتخابهُ النسلي المزعوم حتى في الحشرات والهوامّ فيزعم انّ الفراشات هي التي باختيـار تناسلها استفادت الوان ريشها العجيبة وانّ الحشرات الغمديّة الاجنحة استخارت لها بالتناسل قرونها الرفيعة هذه طويلةً وتلك قصيرةً وان المتنـاسقة الاجنحة كالصرصور استلطفت الاصوات الصيّتة . وقس على ذلك بقيّة الهوامّ التي يتحذّق دروين في مخيّلتهِ ايجد فيها شبهاً ايّاً كان ليثبت اوهامهُ

خذ مثلًا الحباحب اي الذبابة الصغيرة ذات السِراج اللامع في الليل فاسأل دروين ما السّبب لهذا النور التي تبثهُ الأنثى دون ذكرها ؟ يُجيبك فوراً : لأن لهذه الهوامّ المنيرة اعداء في بعض الطيور وصغار ذوات الثدي فتبعث الحباحب نورها لتنجو من شرّها ولعلمها بان اولئك الاعداء يكرهون النور ويتشبّه بالحباحب على قول دروين هوامّ اخرى لادراك تلك الغاية (ص ٥٠٦) . فترى في كلّ هذه الشروح كيف ينسب دروين للحشرات فهماً وادراكاً اذ تتوخّى وسائط معلومة تبلّغها الى غايات مقصودة

دونك مثلًا آخر : انّ في الغابات وعلى شجرها وتحت اعشابها بقّاً يُعرف ببقّ الخشب فصنفٌ منهُ ترين ذكرهُ وانثاهُ ألوانٌ زهيّة ؟! فما معنى هذه الالوان؟ يقول دروين (اسمع وتماسك عن الضحك) : « معلوم انّ هذه الحشرات ذات رائحة خبيثة فتزيّنت بهذه الالوان الجميلة لتحذّر بها الحيوانات التي تحاول التهامها لتعلم انّها غير طيّبة للاكل » (ص ٣٠٩) اعني انهُ ينسب لها فهماً كأنها تقول لعدوّها بلسان حالها : ايّاك ان تأكلني فاني لست لذيذة الطعم

وهذه خنافس نوعٌ منها معدنيّ اللون غاية في الحسن فما الفائدة من اختيارها ذلك؟ يجيب دروين : هذا اللون ان كان لا يفيدها لحماية نفسها ينفعها لتحذير عدوّها كالحباحب المنير (ص ٣٣٣)

وما معنى هذه القرون الضئيلة الطويلة المرتكزة في جبهة او مناكب بعض الجعلان فايّ غاية قصدت بها تلك الحشرات وهي تميتها اكثر من ان تفيدها اذ لا

تقوى على دَفْع عدوها ولا يمكن تعليلها لفائدة سابقة ؟ يقول داروين : « يجب ان نفترض انَّ هذه الحشرات حصلت على تلك القرون للزدان بهـا » (ص ٣٢٧) . ما أحلى والطف هـذا الشرح في جعلان تعيش في الاقذار والزبل وهي تطلب الحليَّ والزينة لنفسها بوضع قرونها !

وللدروين شروح هزلية مضحكة في تعليل الوان الفراشات فكل يعلم مـا خُصّت به هذه الهوام من الالوان البهيَّة المختلفة فدروين يزعم ان كثيراً من صنوفها عمدت الى تلك الالوان الجميلة لتقي نفسها من نَهَم الحشرات الطالبة أكلها لتحذّرها من ذلك لسوء طعمها (ص ٣٤٣) . ويزعم انَّ اصنافاً غيرها تمثّلت بها في زينتها لتأمن من اعدائها . ويدَّعي دفعات اخرى انَّ تلك الفراشات تخيّرت لها الريش الملوَّن المصقول لتنجو من اسنان الطيور التي تخطّ ءايها ولا تمسّ جسمها وانَّما تخدش فقط ذلك الريش (ص ٥٤٥)

وان وجد فراشاً ذا ريش قـاتم يدَّعي انهُ استخارهُ ليتشبَّه باوراق الاشجـار وقشورها التي يسكن فيها

وكذلك دود تلك الحشرات يدَّعي دروين انَّها تتفنَّن في تحصين حالهـا تارةً بان تتّخذ لها زئبراً شائكاً وحيناً بان تجاري ما حولها من الاعشاب في الوانها الكمدة لئلَّا يراها الطير . وان رآها جملة الالوان يزعم كما قال عن الفراش ان ألوانها السـاطعة تُوعز الى عدوّها بانهُ لا يجد في اكل لحمها لذَّةً (ص ٣٥٨) فهي تفعل كبعض باعة الادوية والعقاقير الذين يودعون الادوية المسمومة في زجاجات ملوَّنة تأمينـاً لحياة المسموم لئلا يتعاطوها (ص ٣٥٩)

ولم يفسِّر دروين الحيـات وما لبعض اجناسها من الالوان الساطعة . فيروي في كتابه (ص ٣٨١) مراسلة لبعض اهل اميركة الجنوبية الذي افادهُ انَّ هناك اربعة اصناف من الحيّات الظريفة الالوان ضربان منها سامَّة قاتلة وضربان آخران لا يؤذيان ويصعب على العموم التمييز بين الصنفين . فيستنتج دروين انَّ الصنفين الاخيرين تقلَّدا الوان الصنفين السامّين ليخدعا بذلك المسافرين فلا يقربون منهما كما يهربون من ذينك الجنسين الخبيثين (ص ٣٨٨)

وهكذا يحاول دروين في شرح كلّ ما يراهُ في الحيوان فينسب اليه عقلاً فهيماً

مدركاً لصلاح نفسهِ طالباً لحيرهِ الوسائل المنجية ومتخذاً عمداً ما يراهُ اقرب الى تلك الغاية التي قصد ادراكها

وقد ضرب دروين صفحاً عن اخلاق عديدة للحيوان لو تصدَّى لها لزادتهُ ارتباكاً وحيرةً وعجز عن شرحها . اذ قولهُ مثلاً عن غريزة بعض الهوام والحشرات كالعناكب والعقارب التي اثبت العلّامة فابر انَّ اناثها اذا حملت هجمت على ذكورها وازدردتها . أفيقول دروين انَّ هذا ايضاً من الانتخاب النسلي ؟ لكنَّهُ فضَّل السكوت عمَّا لا يستطيع وجود وجهٍ معقول لشرحهِ . فترى كم وكم من الاوهام والتخيُّلات الغريبة تهافت اليها دروين لبلوغ غايتهِ ليثبت في آخر الامر تناسل الانسان من البهيمة . وقد روينا كلامهُ ومزاعمهُ ليحكم القارئ حكماً عدلاً في المذهب الدرويني ويقدر عواملهُ قدرها من الضعف والعجز عن ادراك ما ادَّعاهُ لها

وممَّا يجب تنبيه القرَّاء اليهِ جهل دروين لطباع الحيوان فانَّ علماء الطبيعة الذين درسوا اخلاق الحيوانات وغرائزها بمراقبة حركاتها وسكناتها وباقي شؤون حياتها قد اثبتوا ما لا يُحصى من اعمالها المقرَّرة التي هي على طرفي نقيض مع ما رواهُ دروين الذي درس الحيوان في متاحف بلادهِ فقابل بين اشكالهِ الميتة الجامدة التي رآها هناك منضَّدةً منظَّمةً على الرفوف بيد احد العلماء فظنَّ انهُ تكفيهِ المقابلة بينها ليضع تلك المبادئ العموميَّة التي توهَّم صحتها وهيهات ان تنطبق مع الحقيقة في شيء

٣ شبه الهيكل البشري وهيكل الحيوانات الفقارية

من جملة البراهين التي يلوذ بها غالباً ارباب مذهب النشوء والماديُّون ليثبتوا مذهبهم الباطل ما يجدون من الشبه بين هيكل الانسان وهيكل الحيوان فتراهم اذا حاولوا اثبات رأيهم عرضوا بالتصوير في المجلَّات وكتب التاريخ الطبيعي هياكلَ البشر والقرود ثمَّ هياكل الطيور وذوات الاربع ليتأثَّر الناظر من الشبه بينها ويعدل الى مذهب النشوء والتحوُّل ويحكم انَّ كلَّ ذلك من فعل الطبيعة العمياء لا دخل فيهِ لعقل فهيم والهٍ حكيم

ساءت ظنونهم وعَميت قلوبهم وكان الاحرى بهم اذا وجدوا شيئاً من التشابه بين اعضاء الانسان والحيوانات وبين هيكلهِ وهيكلها ان يرقوا بعقولهم نحو الخالق

فيأخذهم العجب من حكمته وقدرته تعالى اذ اتخذ رسماً واحداً جعلهُ قواماً لِما لا يُحصى من الكائنات المختلفة باشكالها الخارجة واخلاقها المتباينة وغرائزها الطبيعيَّة وجمع بين اصول الجمال اي الوحدة والاختلاف معاً فأبدع تنانين من ذوات الفقار في طور العالم الثاني يبلغ طولها ٤٠ متراً وألحقها بانواعٍ عديدة من جنسها لا يتجاوز بعض الباقي منها الى يومنا بضعة سنتيمترات · فانَّ من يعتقد وجود الخالق لا يذهلهُ شيءٌ مما يراهُ في العالم وتنكشف امام عينه تلك الاسرار التي يغمض حلّها على تبعة درون· فيدرك الاسباب التي دفعت الخالق على تقديم او تأخير بعض الكائنات وعلى اختياره لتكوين اجناس الحيوانات في ازمنةٍ دون غيرها ·وعلى وَضعها حين شاء وكما شاء دون ان يجعلها سلاسل متتالية ذات حلقات متواصلة كما يفترضهُ الدروينيُّون وكلّ ذلك وفقاً لما توخّاهُ الله في وحدة رسمه

وقد ناط تعالى بهذا الرسم الوحيد ما لا يُحصى من الحيوانات المختلفة الحجم المتباينة الصورة من زحافات وطيور وذوات أثدٍ واسماك لكل منها نزعاتها وغرائزها المختلفة على اختلاف مواطنها من القُطب الشمالي الى خطّ الاستواء والى القطب الجنوبي مع ما يقتضيه حالها في كلّ وسط وفي كلّ مناخ فكم فيها من الصفات والمحاسن التي لا يفي بها احصاء· وذلك كلُّهُ منوط بهذا الهيكل الوحيد الذي لا يكاد يختلف جوهرهُ مع اختلاف هيئاته غير المتناهية والانسان احد هذه الكائنات مبنيّ على الهيكل عينه

وهذه الوحدة العجيبة التي تعمَّدها الخلّاق ليست محصورة في الحيوانات ذات السلسلة الفقاريَّة بل يمكن بيانها في الحشرات عينها التي حدَّد العلماء اجناسها وانواعها ورتبها· وبينها ما لا تكاد العين تبصرهُ لصغر حجمها وكلّها مركَّبة تركيباً يجاري في محاسنه تركيب كبائر الحيوان· ويُرى الرسم المذكور في الاصداف العجيبة الشكل وفي كلّ طبقات النبات وبالاجمال في كلّ الحيويَّات المنتشرة على الارض سواء كانت حياتها نباتيَّة او حياة ذات حركة وحسّ كالحيوان او حياة عقليَّة كما في الانسان

وترى في تقسيم الحياة على الارض في كلّ جنس ونوع منها بل وفي كلّ فردٍ من افرادها نظاماً عجيباً ثابتاً· فانَّ لكل هذه الكائنات نواميس مقرَّرة لا تختلف فتجد لكل نبات زهرهُ وبزرتهُ التي تحتوي مهما كانت دقَّتها على قوَّةٍ تبدو للعيان على

صورة شجرة باسقة او شجيرة لطيفة تشبه الشجرة التي تكوَّنت فيها البزرة

وكذلك الحيوان فانَّهُ يولد وينمو ويتناسل كل نوع على مقتضى نواميسهِ الخاصَّة دون خلل ولا اختلاط . ولكل عضوٍ من اعضاء تلك الحيوانات على اختلافها من اكبرها حجماً الى ادقّها جسماً تنسيقهُ العجيب المناسب تماماً الغاية المقصودة منهُ

ومثل هذا النظام والترتيب في مجموع الافلاك الدائرة في الفضاء . فانَّ لكلّ هذه الكواكب سيرَها على نواميس راهنة لا تحيد عنها ذرَّةً حتَّى يستطيع الفلكيُّون قياسها وضبط حركاتها فيسبقوا الى تعيين ظواهرها قبل وقوعها بزمن طويل

فالمادّيون يتشدَّقون قائلين انَّ ذلك كلَّهُ فعلُ الصدفة . وقد سبق لنا القول انَّ الصدفة والنظام على طرفي نقيض . فانَّ الصدفة ليست الَّا الطبيعة العمياء التي لا يصدر منها الَّا الخراب والدمار

وان عُدنا الآن الى اعتبار هياكل الحيوانات والبشر لزمنا القول ان التشابه المذكور فيها مع اختلاف انواعها البالغ انَّما هو اعظم دليل على العقل الالهي السامي الذي ابدعها فوسمها بسمتَيِ الوحدة والتنوُّع

هذا وقد اقرَّ زعماء مذهب النشوء والتحوُّل ان اكبر داعٍ ساق بهم الى القول برأيهم انَّما هو ما قصدوهُ من نفي الخالق اذ رأوا في كلّ الكائنات بسمةً تعالى ومسحةً الالهيَّة فظنُّوا ان مذهبهم يُبلغهم بمتناهم وهيهات!

وخلاصة القول في مدَّعى الدروينيين عن تشابه الهياكل الحيوانيَّة والبشريَّة انَّنا لا ننكر ذلك الشبه الذي يُرى في كافَّة طبقات الحيوانات ذات السلسلة الفقاريَّة من حيث هيئة تلك الهياكل العموميَّة الَّا انَّ مع ذلك الشبه ايضاً اختلافاتٍ لا يُحصيها العدد في كلّ دقائق كيانها كما لحظ ذلك ارباب النشوء والترقي عينهم مع اقرارهم بانهم لم يجدوا سنداً لذاك التحوُّل المزعوم . والدليل على قولنا انَّ اصغر العظام التي يجدها الطبيعيُّون تكفيهم للدلالة على صنف الحيوان ونوعهِ وتركيبهِ لعلمهم بخواص كلّ عضوٍ واختلافهِ في كلّ نوع

ولو اردنا ان نتتبَّع كلّ قسمٍ من هذه الهياكل لأَلحقنا السأم بالقرَّاء وكفى ذكر ما يأتيهِ دروين من المضحكات في شرح هذه المميّزات كقولهِ مثلًا عن القرد كيف اتَّصل الى حذاقة العمل بيدهِ وتغيير هيئة رجليهِ مع ما قصدهُ عمداً من التغييرات

الحديدة في بدنهِ ليقوم منتصباً وكلّ ذلك اوهام لا وجود لها الّا في مخيّلة دروين الذي يُعيِر القرد مسحةً من عقلهِ وكان الاولى بهِ ان يخصّها بتأييد الحقائق الراهنة فلا يغوي الناس بمثل هذه التُرّهات . فليعلم الدروينيُّون العلم اليقين انّ القرد ولو امكنهُ ان يقصد الحصول على غاية معلومة من المستحيل ان يغيّر شيئاً من هيئة جسمهِ ولو شاء ان يجعل مثلاً ليديهِ او لرجليهِ وجهةً ما او تركيباً آخر في عظامها لعجز عن ذلك . وقس عليهِ بقيّة الحيوانات

وخلاصة القول انّ لا شيء يحوجنا لدى نظرنا التشابه في هياكل الحيوانات المختلفة ان نقول بأنها نشأت من بعضها بالتحوّل وعلى خلاف ذلك نجد في هذا الشبه داعياً جديداً لتمجيد الخالق والصراخ مع النبيّ : « أيها الرب الاله ما اعجب اسمك في كلّ الارض ... انك بكل حكمة وقياس ونظام قد ابدعت كلّ المخلوقات »

(التتمّة لعدد قادم)

شهيد الاستانة

الكاهن غوميداس الارمني الكاثوليكي

نظر تاريخي للاب لويس شيخو اليسوعيّ

احرزت الكنيسة الكاثوليكيّة لها فخراً باهراً ومجداً اثيلاً في ٢٥ تشرين الاوّل (١ من السنة ١٧٠٧ في عاصمة الدولة العثمانيّة باستشهاد احد الكهنة الارمن الكاثوليك المدعو غوميداس كرجيان وشى بهِ الارمن الغريغوريُّون الى عليّ باشا الجورلي مدّعين لارتدادهِ الى الكثلكة بأنهُ دخل في دين الفرنج ودفعوهُ بالرشوة الى ان يقضي عليهِ بالاعدام فعرض عليهِ الاسلام لينجو من الموت فأبى وثبت على دين الكنيسة البطرسيّة فقُتل بقطع هامتهِ لكنّ موتهُ اناله ذكراً طيّباً لدى مواطنيهِ

(١) وذلك بمقتضى الحساب الشرقيّ القديم الموافق لليوم الخامس من تشرين الثاني

وما لبث ان جرت بشفاعته كرامات عديدة توالت الى عصرنا هذا ودفعت الكرسيّ الرسوليّ الى ان يبحث عن سيرة وموت ذلك البطل الصنديد ليُودع اسمهُ في سجلّ اوليائه باعلانه طوباويًّا . والأمول ان ذلك يتمّ في عهد قريب

وقد سرّنا ان حضرة الاب ميخائيل قديد الارمنيّ الكاثوليكي في حلب عمد الى ترجمة حياته التي كتبها بالارمنيَّة الورتبيد آكوب مغريان الارمنيّ الكاثوليكي فاخرجها الى العربيَّة ليستمّ بروايتها الشائقة جميع الطوائف الكاثوليكيَّة ولاسيّما الارمن ليكون مثال ذلك الشهيد سندًا وتعزيةً لهم في بلاياهم ومصائبهم المتعدّدة. وقد كنّا احببنا لو افادنا حضرة المعرّب في مقدّمته شيئًا عن مؤلف الكتاب وعن المصادر التي رجع اليها لوضع تأليفه فذلك من شأنهِ ان يزيدنا ثقةً بروايته

فسدًّا لهذا الخلل رأينا ان ننشر هنا بعض تلك الآثار الناطقة بشهامة رجل الله وقداسة حياته نقلتها عن شهود عيانيين او معاصرين استندناها خصوصًا من احد آباء رهبانيّتنا في الاستانة حضرة الاب يوسف لوبون (P. J. Lebon) بعد ذكرخلاصة حياته

ولد غوميداس (ويروي البعض غُورميداس) في الاستانة سنة ١٦٥٦ من اسرة فاضلة من الارمن الغريغوريين . وكان ابوهُ كاهنًا يُدعى مرديروس . نشأ الولد في حجر والديه على التقى ثمّ تلقّى العلوم على بعض اساتذة طائفته فبرع فيها لاسيّما العلوم الدينيَّة . قيل انهُ استظهر كل اسفار العهد الجديد فأهلتهُ علومهُ الى اقتبال الكهنوت بعد اقترانه بالزواج الشرعي جريًا على عادة الكنائس الشرقيَّة فرسمهُ كاهنًا مطران طوقات المدعو كيراكوس وتعيّن كُنَيْس لكنيسة مار جاورجيوس في صاماطيا احد احياء الاستانة

وفي تلك الاثناء حدثت بين الارمن في حاضرة الدولة فتن وانشقاقات فكان قسمٌ منهم عرف حقيقة الايمان الكاثوليكي فجاهر بتعاليم الكنيسة الرومانيَّة وكان في مقدَّمتهم البطريرك ملشيصاداق سبوح او صبحي فقام لمناكستهم حزبٌ آخر لم يألُ جهدًا في معارضتهم حتّى التجأوا الى الحكومة العثمانيَّة لادراك غايتهم

وكان من جملة الـذين اهتدوا الى الايمان المستقيم الكاهن غوميداس اذ تحقق صدقهُ وموافقتهُ لتعليم القديس غريغوريوس المنوّر فاخذ يبشّر به عـلانية ويرشد اليه رعيّتهُ في صاماطيا . واذ كان ذا عارضة وبلاغة عظيمة كانت جماهير الشعب تتقاطر

الى استماعهِ ولاسيَّما انهُ كان رخيم الصوت في غناء الاناشيد الطقسيَّة متقناً للرتب الكنائسيَّة مهتمًّا بزينة بيت الله فاستمال اليهِ قلوب الجميع وهدى الى حجر الكنيسة البطرسيَّة عددًا عديدًا من الضالّين

فحرَّكت غيرة البغض في صدور الحزب المعادي وكانوا قد اقاموا لهم بطريركاً شديد المعارضة للكاثوليك يُدعى افرام فتمكَّنوا من نفي البطريرك الشرعي ملشيصادق واضطهدوا المؤمنين انصارهُ واضمروا الشرّ خصوصاً لغوميداس فلم يرَ النجاة من ايديهم الّا بالفرار الى اورشليم سنة ١٧٠١ لكنَّهُ قاسى هناك من العذاب واضطهاد المخالفين الذين عوَّلوا على تسميمه ما اضطرَّهُ الى الرجوع الى الاستانة وكان بلغهُ ان بطريركاً جديدًا اسمهُ اواديك مسالماً للكاثوليك أُقيم بعد خلع افرام

فلمَّا عاد الى عاصمة المملكة تحقَّق ان مواعيد البطريرك اواديك كانت عرقوبيَّة وانهُ ثار على الكاثوليك اضطهادًا اشدَّ من سلفهِ فاختفى غوميداس من وجههِ ريثما تهدأ تلك العاصفة . وكان سفير فرنسة المركيز دي فرّيول تمكَّن من ابعادهِ عن الاستانة فثار ثائر اعداء الايمان وتألَّبوا على الكاثوليك سنة ١٧٠٦ كضواري السباع وسعوا بمصادرتهم ونفيهم واستصفاء اموالهم . وقبضوا على غوميداس فساقوهُ الى المحكمة والقوهُ في السجن وحكموا عليهِ بالاعمال الشاقَّة وبذلوا الدراهم لينالوا من وزير الصدارة علي باشا الجورلي حكماً عليهِ بالموت لكنَّ الوزير اذ رأى انَّ المسألة دينيَّةٌ لم يكترث لها بل اطلق سراحهُ بعد ان دفع للوزير ما طمع بهِ من المال

فرجع غوميداس الى دارهِ مطمئنًّا واستأنف اعمالهُ الرسوليَّة من وعظ وارشاد وحفلات دينيَّة كان يزدحم الشعب لحضورها ويُقبل عليها إقبال الجياع على القصاع فتوغَّرت لذلك صدور المخالفين فوكلوا امرهم الى بطريرك جديد يدعى اوهنيس شاع بغضهُ نحو الكاثوليك. فما كاد يستقرُّ قدمهُ في الاستانة حتَّى حذا حذو اواديك ونصب المكائد ودسّ الدسائس وبذل اكياس الرشوة حتَّى أُطلقت يدهُ على المرتدّين الى الكثلكة فاذاقهم العذاب الوانًا

وكان غوميداس اوَّل من صوَّب اليهِ سهام بغضهِ ولم يكتفِ بتوقيفهِ وحبسهِ بل اراد ان يشفي غليلهُ بموتهِ . فتمَّ لهُ ذلك كما شاء فاستشهد غوميداس في ٢٥ تشرين الاوَّل من تلك السنة بعد ان اظهر من الثبات العجيب والشهامة الدينيَّة ما

اذهل الالوف المؤلّفة من المسلمين والنصارى الذين حضروا قتلهُ

وقد لحظ كتبة تاريخهِ أنهُ اشبه في موتهِ فاديَهُ الالهي في عـدَّة امور في نوع توقيفهِ وتكبيلهِ بالاغلال وسَوقهِ في الشوارع بالهوان وفي لطمهِ وسجنهِ وفي محاكمته لدى وزيرٍ كان اشبه شيء ببيلاطوس بتردّدهِ في الحكم وضعفهِ وإصغائهِ الى شهود الزور وفي طلب التريفوريين ان يكون دمهُ عليهم وعلى ابنائهم وفي إقرار اعدائهِ بعد موتهِ ببرارتهِ وفي التماس ابنتهِ من الوزير دفن جثتهِ فدُفن مكرَّماً

*

هذا ما يُستفاد من رواية المؤرخين الثقات . وها نحن نذكر شيئاً من كتاباتهم التي حرّروها في يوم استشهاد الكاهن غوميداس او قليلًا بعدهُ . فمن ذلك ما كتبهُ سفير فرنسة دي فريول في تشرين الثاني اي يوم الاستشهاد وفقاً للحساب الغربي ثمَّ في ٨ منهُ ومما كتابان وجَّهها الى وزير الملك لويس الرابع عشر (١ قال :

«قد قُتل الكاهن دير غوميداس وها انا مُرسل لجنابك تفاصيل استشهادهِ . كان المذكور معتبراً لدى طائفتهِ نظرًا لنزاهتهِ واستقامتهِ وكان متّقداً غيرةً لنشر الدين الكاثوليكي . قد عانى مراراً الاضطهادات في سبيل دينهِ وحُكم عليهِ بالإعدام قبل ستَّة اشهر لكنَّ بعض الوجوه من طائفتهِ انقذوهُ من تلك المصيبة بدفعهم مبلغاً كبيراً من المال . . . وفي ٣ من شهر تشرين الثاني ارسل الصدر الاعظم جنودًا ليوقفوا بعض الارمن ويزُجّوهم في الحبس بداعي كونهم قد «تفرنجوا» وخصوصاً دير غوميداس . فلما بلغوا الى حيّهِ ولجوا في عدَّة بيوت فالقوا الرعب في اهلها . فلمَّا سمع الدير غوميداس هذه الجلبة ليس فقط لم يفرَّ هارباً او يختبئ كما فعل غيرهُ بل وقف على باب دارهِ وسأل عمّال الوزير: من تطلبون ؟ . قالوا : دير غوميداس — قال : انا هو . فدعُوا اذن هؤلاء القوم مطمئنين

« فقادوهُ الى الحبس وفي ضحى هذا اليوم اوقفوهُ في ديوان الصدر الاعظم حيث كان حضر بطريرك الارمن دير اوهنّيس مع ٣٠٠ من اصحابهِ . فلمَّا رأى الوزير دير غوميداس انتهرهُ متجهماً : لماذا عدلتَ الى دين الفرنج ؟ اجاب غوميداس : يا ابي كاهن

(١ اطلب كتاب المآثر التاريخيَّة للكنائس الشرقيَّة للمرحوم الاب انطون رباط A. Rabbath : Documents inédits, I, 126-130

قد رأيتُ من الواجب عليَّ ان اتعمّق في درس ديانتي لأُتقنها الغير وقد وجدتُ في تعاليم الارمن الذين يناهضوني عدَّة اضاليل يمنعني الضمير من اعتقادها

• قال الوزير: وما هذه الاضاليل ؟ — اجاب غوميداس: أو انت تعرف ديانتنا معرفةً كافية لتحكم عن الصواب او الضلال ؟ — قال الوزير: صَهْ ألا تعلم اني قادر على قتلك ؟ — قال غوميداس: وبذلك تمنحني نعمةً جزيلة. ولكن يجب عليك ان لا ترفع السيف على رأسي في امرٍ يمسُّ الدين وانا على غير مذهبك. وان سفكت دمي فاني اناقشك الحساب عنهُ يوم الدين

• فانذهل الوزير لاستماعهِ هذا الكلام وقام مغتاظاً فالتفت الى البطريرك دير اوهنّس قائلًا: أنك انت المسئول عن دم هذا الرجل. اجاب اوهنّس: فليحلّ على الذين طلبوا توقيفهُ(١). فجلس الوزير وقال لغوميداس: انَّ هؤلاء يدَّعون انك هجرت شيعتهم لتتبع شيعةً سواها. قال غوميداس: وأيتهما على رأي الوزير هي الفضلى ؟ قال الوزير: على رأيي انَّ كلتيهما فاسدة — اردف غوميداس: فماذا يمنعك اذن ان اختار الواحدة دون الاخرى ؟

• فهيّج جوابهُ هذا صدر الوزير فأمر الحال بقتلهِ. ومن ساعتهِ اقتادهُ الجند المتعطش الدم ومعهُ اثنان آخران من الارمن الكاثوليك. وكان غوميداس في طريقهِ مستمراً بالصلاة فلقيهُ بعض كهنة الروم المتوجهين الى دار الصدر الاعظم ليفاوضوهُ في امر بطريركهم الجديد. ولمّا عرفوا ان غوميداس حُكم عليهِ بالموت اقتربوا منهُ وطلبوا دعاءهُ

• ولمّا وصل الى ساحة الإعدام التفت الى رفيقيهِ الارمنيين وحرّضهما على الثبات في دينهما والاستشهاد في سبيلهِ قائلًا لهما انهُ يتقدّمهما ليجدا في موتهِ مثلًا. ثمّ خرّ جاثياً على ركبتيهِ وبينما هو يتلو دستور الايمان قطع السيّاف رأسهُ... امّا الارمنيان رفيقاهُ فحملهما الخوف على جحود دينهما فأسلما

• وما لا ينكر ان علي باشا رجلٌ سفّاك الدماء ومحبٌّ للدراهم ويرى ان سيّدهُ السلطان (وهو احمد الثالث) يميل الى الارمن المراطقة. ولو كان للاتراك في هذه الأيام حربٌ تشغلهم لمّا ارتبكوا في هذه الامور الدينيّة وما عمدوا الى التلهّي بحق

(١) وفي رواية اخرى: فليحلّ دمهُ على اليسوعيين الذين غرّوهُ هو وكثيرين من اهل ملّتنا

النصارى · وقد رأى الصدر الاعظم انَّ هذه الشاجرات الدينيّة من شأنها ان تكسبهُ الاموال الطائلة التي هو متعطّش اليها ·

هـذا ما يكتبهُ فريول السفير · وقد عُني الآباء اليسوعيّون الذين كانوا وقتئذٍ في الاستانة بجمع اخبار غوميداس في حياتهِ وموتهِ وما جرى لهُ بعد استشهادهِ فدوّنوا كلّ ذلك واودعوا نسخةً ممّا كتبوا في سجلّاتهم وارسلوا الى رومية نسخةً ثانيةً ليثبت الكرسيّ الرسوليّ قداستهُ وينظم اسمهُ في عداد اولياء الله · وهذه الاعمال كانت فُقدت لِما حدث لرومية من الكوارث في اواخر القرن الثامن عشر الّا انها لحسن الطالع قد اكتُشفت سنة ١٨٩٥ بين سجلّات مجمع انتشار الايمان فاستأنف المجمع المقدّس فحص تلك الدعوى والامل معقود على قرب اعلان الشهيد غوميداس طوبويًّا

فمِمّا يستفاد من تلك الاعمال والشواهد المديدة المضافة اليها ان الله مجّد شهيدهُ بعدّة كرامات حدثت بعد موتهِ · فمن ذلك انّ جسدهُ الطاهر بقي ثلثة ايام في ساحة بارماق قابو حيث قُتل دون ان يصيبهُ فساد وكانت تنبعث منهُ رائحة طيّبة · وفي ثاني يوم استشهادهِ اشرق حولهُ نورٌ عجيب اثّر نظرهُ في الحرّاس حتّى قيل انّ بعضهم تنصّروا لرؤياه

وممّا يُعزى الى الشهيد غوميداس انّ مدينة الاستانة التي كان انحبس عنها المطر منذ عدّة اشهر جادها السماء بامطار غزيرة مدّة ثلاثة ايّام متوالية حين استشهادهِ

وزادت تلك الكرامات بما تبادر الكاثوليك الى جمعهِ من ذخائر الشهيد كقطع من ثيابهِ ومناديل مغموسة بدمهِ · فلمّا رأى الاعداء ما حصل للكاهن القديس من الاكرام ندم كثيرون منهم على ما فعلوهُ واطرأوا شهامتهُ في دفاعهِ عن ايمانهِ · ولمّا البطريرك اوهنّس وكهنتهُ فتنمّروا غيظاً وطلبوا من أولي الامر ان تُلقى جثّتهُ في البحر · لكنّ ابنة الشهيد المدعوّة اغاوني دخلت بكل جرأة على الصدر الاعظم وطلبت جثّة والدها فسُمح لها بذلك فدُفنت بكل اكرام بحضور جمهور عظيم من الشعب من كل الطوائف الكاثوليكيّة حتّى من طائفتي الروم والارمن غير الكاثوليك · وقد أُودعت اللحد في مقبرة الارمن الواقعة عند باب ادرنة حيث جرت عدّة عجائب اعلن بها الذين اتوا لزيارة قبرهِ ولالتماس شفاعتهِ

ولعلّ الجثّة لم تبقَ هناك زمناً طويلاً اذ يُخبر السفير المركيز دي فريول انّهُ

تمكَّن من استخراجها من مكانها ليلًا وارسلها الى فرنسة لتنال ما تستحقهُ من الاكرام

وما لا يُنكر انَّهُ منذ استشهاد الكاهن غوميداس الى هذه السنين الاخيرة لم يزل ذكرهُ حيًّا ومقام قبرهِ مكرَّمًا والمعجزات المجترحة بشفاعتهِ متواصلة وقد جُمعت في كتاب خاصّ حيث ينيف عددها على الثلثمائة. بينها ارتداد كثيرين من الارمن غير الكاثوليك الى حجر الكنيسة المقدَّسة مع وصف ما أُصيب بهِ اعداؤهُ من العقاب فانَّ اغلبهم حلَّت بهم مصائب فاجعة وماتوا ميتةً سيئة رأى فيها مواطنوهم يد الله المنتقم منهم لعبدهِ غوميداس

وقد ورد في الترجمة العربيَّة التي ألمعنا اليها انَّ القس غوميداس خلَّف سبعة بنين ذكرين وخمس أنثى توفّي احد الصبيين في رومية سنة ١٧٠٨ وكان اسمهُ نهابيد وتقلَّد الثاني وظيفة ترجمان في نابولي واسمهُ يوحنا. وكانت اصغر بناتهِ اغاوني وهي التي طلبت جثة والدها من الوزير. وكانت قرينتهُ تُدعى هُرية عريقة في الدين ولمَّا قُبض على زوجها حرَّضتهُ على بذل نفسه في سبيل ايمانهِ القويم

وقد وقفنا على رسالة كتبها الاب اليسوعي تاريليون كتبها من الاستانة في ١٩ أيار سنة ١٧١٠ روى فيها ما لحق بالصدر الاعظم علي باشا الجورلي من المصائب اذ عزلهُ السلطان احمد الثالث من منصبهِ ومات اسوأ ميتة جزاء جورهِ في حقّ الشهيد غوميداس. وروى على خلاف ذلك نموّ الشرف والذكر الحسن اللذين حظي بهما ذلك الكاهن الفضال بحيث يجوز القول انَّ موتهُ انعش الايمان في قلوب كلّ المسيحيين ولاسيَّما الارمن واضحى في كلّ تركية باعثًا لارتداد كثيرين من غير الكاثوليك حتى انَّ عددهم في العاصمة وحدها بلغ ١٢،٠٠٠ وبذلك صحَّ قول الآباء القديسين انَّ دم الشهداء زرعٌ جديد للمؤمنين

الشطرنج، فوائد في اصلهِ وحكمتهِ

لجناب القانوني جرجي بك صفا رئيس دوائر استئناف الحقوق في لبنان الكبير

قرأت في العدد الاخير من المشرق الاغرّ (ص ٧٩٧) كلمةً في الشطرنج واصلهِ القديم فاردتُ ان اكتب شيئاً مما وقفتُ عليهِ بهذا الباب لعلَّ فيهِ فائدةً

١ لغة واشتقاقه

واوّل ما عنّ لي اثبات ما ورد في المعاجم وبعض كتب الادباء . جاء في تاج العروس وفي عاصم افندي : الشِّطْرَنْج بكسر الشين أجود كجِرْدَحْل . وقال الفيروزابادي انّ الشين لا تُفتح . لكنْ ما نفاهُ من فتحها اثبتهُ غيرهُ وجزم بهِ الحريري وغيرهُ وقالوا الفتح لغة ثابتة ولا يخالفها اوزان العرب لأنهُ عجميّ معرَّب فلا يأتي على قواعد العرب من كلّ وجهٍ . وقال ابن برّيّ في حواشي الصحاح : « الاسماء العجميّة لا تشتقّ من الاسماء العربيّة والشطرنج خماسيّ واشتقاقهُ من شَطَرَ او سَطَرَ يوجب كونها ثلاثيّة فتكون النون والجيم زائدتين وهذا بيّن الفساد » . وقد ورد بالسين (سَطْرَنج) وهي لغة

أمّا اشتقاقهُ فقد اختلفوا فيهِ فمَن اشتقَّهُ من العربيّة زعم انهُ من الشطارة او المشاطرة . وقال ابن هشام اللخميّ في فصيحهِ انهُ من التَّسطير . وقد نفى ابن برّيّ اشتقاقهُ من العربيّة

واشتقَّهُ كثيرون من العجميّة فقال في البرهان القاطع : « هو معرَّب عن شُتَر وهو اسمٌ لليبروح (او اللفّاح mandragore) واليبروح يكون على شكلين فسمّوا هذا اللعب الشطرنج تشبيهاً بهِ فعلى هذا يكون اعجمياً » . . وهذا بعيد . وابعد منهُ ما ورد في شفاء الغليل انهُ تعريب « شُدْرَنْك » (او شُدْرَنْج) اي مَن اشتغل بهِ ذهب عناؤهُ باطلًا . ومثلهُ غرابةً انهُ من « شطْرنج » اي ساحل التَّعَب . وكذلك اشتقاقهُ من « صَدْرَنْج » اي مئة عناء . وقالوا « صَدْرنك » اي مئة حيلة . قال في التاج : « وكلّ ذلك احتمالات »

واقرب الى الصحّة ما قاله الطيّب الـذكر وشهيد الدين السيّد ادّي شير رئيس اساقفة سعرد على الكلدان في كتابه الالفاظ الفارسيّة المعرّبة (ص١٠١) : الشطرنج معرَّب عن «شَتْرَنك» . وعندي انّ الفارسي شترنك اصلهُ شاهْ تُرَنك اي الشاه لطيف او الشاه اللطيف . او هو مركّب من «شَتْ» وهو تخفيف شَتَل ويُطلق على الحصّة التي يعطيها القامر بعد نهاية اللعبة الى الذين حضروا المجلس ومن «رَنْك» ومعناهُ القهار » . وقال غيرهُ انّ اصلهُ : « شاه رنج » اي همّ الملك او حزنُ الملك . ومن الاشتقاقات الشائعة انهُ من «شش رَنج» اي ستّة الوان او ستّة اصناف من القطع الداخلة في اللعب وهي الشاه (الملك) والفرزان (الملكة) والفيل والفرس والرخ (البرج) والبيدق (اي الجندي الماشي)

وقد اشتقّهُ الغير من الهنديّة . قال السيّد ادّي شير : وقيل انهُ مركّب من «شَتْر» وهو العدوّ باللغة الهنديّة ومن «رنك» ومعناهُ الحيلة او المِشية اي حيلة العدوّ او مِشيتُهُ : وقال ڤولرس (Vullers) في معجمهِ الفارسيّ اللاتينيّ انّ اصل الشطرنج من السنسكريتيّة « جترانك » ومعناهُ « اربعة اصناف » اشارة الى ما يدخل في ساحة الحرب . من المحاربين وعدّتهم في الهند اعني « الفيلة والخيل (إسب) والابراج (الرخ) والجند الشاة (بيده)

فترى من تعدّد هذه الآراء شيوع لعبة الشطرنج في انحاء الشرق قديماً

٢ اصل الشطرنج وتاريخه

كما اختلف الكتبة في اشتقاق اسم الشطرنج كذلك لم يتّفقوا على مخترعه وزمن اختراعهِ . قال هيرودوتس (١ في تاريخهِ (ك ١ ع ٩٤) : « حدثت مجاعة في زمان الملك أتيس بن مانيس شملت كل بلاد الليديّين فقاساها الليديون مدة قصيرة ثم رأوا ان حالة هذا الضيم لن تزول فعالجوا في إزالتهِ كلٌّ بحسب ما عنّ لهُ وفي تلك الغضون اخترعوا الملاعب والملاهي مثل اللعب بالطابة والشطرنج والكعاب وما شاكل ذلك فكانوا يقضون نهارهم لاعبين بالمناوبة بقصد التلهّي عن الجوع وفي

١) اطلب ترجمة تاريخ هيرودوتس العربيّة لحبيب افندي بسترس (١ : ٥٨٠)

اليوم التالي كانوا يشتغلون عن اللعب بمناولة الطعام واستمروا على هذه الحالة ثمان عشرة سنة ٠٠٠٠»

قال ابو اسحاق برهان الدين ابرهيم المعروف بالوطواط في كتابهِ غرر الخصائص الواضحة (ص ١٠٥) : «ان رجلًا من الحكماء اسمهُ صِصَّه (١ وضع لملك الروم المدعو بلهيث لعبة الشطرنج وعرضها عليهِ واظهر له مكنون سرّها . فقال له الملك : اقترح ما تشتهي . قال : ان تضع حبَّةَ بُرّ في البيت الاوَّل ولا تزال تضعّفها حتَّى تنتهي الى آخر البيوت فما بلغ تعطينيهِ . فاستخفَّ الملك عقلهُ واحتقر ما طلبهُ وقال : كنتُ اظنُّ برجاحة عقلك وتوقُّد فكرك ان تطلب شيئًا نفيسًا . فقال : أيها الملك انك لمَّا صرَّفتني الى التمنّي لم يخطر ببالي غير ذلك ولا سبيل الى الرجوع عنهُ . فانعم له الملك بما سأل وتقدَّم باحضار الحسَّاب وامرهم بحساب ذلك فأعملوا في بلوغ قصدهِ مطايا الافكار حتَّى لاح لهم نجم صدقهِ فعرفوهُ بعد الإنكار فلم يجدوا في بلاد الدنيا من البُرّ ما يفي للحكيم بمرادهِ ولو كانت الرمال من امدادهِ» . وهذه هي الارقام (٢

١٨٤،٤٦٧،٤٤٠،٠٧٣،٧٠٩،٥٥١،٦١٥

ونظم بعضهم ذلك بحساب الجُمَّل :

هاوٌ أهَمَطُ وصِفرٌ بعدهُ زَجَزٌ وثِنْ صفرًا وقُلْ ددٌ زَوٌ دَدَها

وجاء في كتاب وفيات الاعيان للقاضي شمس الدين ابن خلّكان (١ : ٦٤٣) في ترجمة ابي بكر محمَّد المعروف بالصوليّ الشطرنجي قال : رأيتُ خلقًا كثيرًا يعتقدون ان للصولي هو الذي وضع الشطرنج وهو غلط وانما وضعه صِصَّه وأردشير ابن بابك اول ملوك الفرس الاخيرة هو الذي وضع النرد ولاجل ذلك قيل النردشير لانهم نسبوه اليه . ولما تمَّ وضعه واشتهر افتخرت به الفرس وكان ملك الهند يومئذٍ بلهيت فوضع له صِصَّه المذكور الشطرنج فقضت حكماء ذلك العصر بتفضيله على

١) وقد تصحَّف هذا الاسم بالمشرق (ص ٦٩٧) بصِصَّه والصواب كما ترى بصادين مهملتين الاول مكسورة والثانية مشدَّدة مفتوحة وفي الآخر هاء ساكنة

٢) وفي قاموس لاروس ذكر العدد على هذه الصورة بنقص صفر في الخانة الخامسة

١٨،٤٤٦،٧٤٤،٠٧٣،٧٠٩،٥٥١،٦١٥

قال ان ثمن القمح المشار اليهِ بهذا العدد يساوي نحو ٢٠٠ مليار فرنك

النرد ولمّا عرضه على الملك واوضح له امرهُ سألهُ ان يتمنّى عليه فتمنّى عليه عدد تضعيف بيوتهِ قمحاً فاستصغر الملك ذلك وانكر عليه مـا قابله من النرد القليل فقال له : ما اريد غيرهُ فامر له بهِ فلما حسبه ارباب الديوان قالوا للملك : ما عندنا ما يقارب القليل منه . فانكر ذلك فاوضحوه له بالبرهان فاعجبه الامر الثاني اكثر من الاول »

قال ابن خلكان : « ولقد كان في نفسي حرارة من هذه المبالغة حتى اجتمع بي بعض حسّاب الاسكندريّة وذكر لي طريقاً تُبيّن لي مـا ذكروهُ واحضر لي رقعة بصحّة ذلك وهي انه ضاعف الاعداد الى البيت السادس عشر واثبت فيه ٣٢٧٦٨ حبّة . (ق . .) ونجعل هذه الجملة مقدار قدح وقد عيّرتها . فكان الامر كما ذكرهُ والعهدة عليه في هذا النقل . ثم ضاعف السابع عشر الى البيت العشرين فكـان فيه ويبة (١ ثم انتقل من الويبات الى الإردَبّ ولم يزل يضاعفهـا حتى انتهى في البيت الاربعين الى ١٠٠٧٦٢ اردباً وثُلثي اردبّ وقال : في هذا المقدار شُونة . ثم انه ضاعف الشُون الى البيت الخمسين فكانت الجملة ١٠٠٤٢ شونة . ثم قال : هذا القـدار مدينة . ثم انه ضاعف الى البيت الرابع والستين وهو آخر الأبيات فكان ١٦٣٨٤ مدينـة وقال : نعلم ان ليس في الـدنيا مدن اكثر من هذا العدد . قال ابو عبدالله محمد بن الاكفاني : اذا جُمع هذا هرماً واحداً مكعّباً كان طوله ستين ميلاً وعرضُهُ كذلك وارتفاعُه كذلك فالميل الذي هو اربعة آلاف ذراع بالعمل الـذي هو ثلاثة اشبار معتدلة على ان الاردب المصريّ مساحته ذراع مكعب وزنته مائتان واربعون رطلاً والدرهم اربع وستون حبة من القمح» انتهى كلامه

وكان المحقّقون يرون انّ الشطرنج من وضع الهند في القرن الثالث للميلاد . لكنّ ما ورد في الشرق (ص ٧٩٧) نقلاً عن المجلّة الاسيويّة الفرنساويّة يبيّن انّ هذه اللعبة كانت معروفة بالصين في القرن العاشر قبل المسيح يلعب بها احد ماوكهم المدعو «مو» . فترجّح انّ واضع الشطرنج هو احد علماء الصين . فاخذهُ عنهم اهل الهند ثمّ دخل بلاد فارس . ولمّا غزا العرب الفرس اخذوهُ عنهم وعن طريقهم اتّصل الى اوربّة

---

١) الويبة ٢٢ او ٢٤ مدّاً

٣ اسرار الشطرنج وحكمته

كان للعب الشطرنج شأن عظيم عند الشعوب القديمة النازية وكان عند الفرنج من الشروط الاساسيّة لمن يريد الدخول في طبقة الفرسان. قال الحسن بن عبدالله في كتاب آثار الاول في ترتيب الدول (ص ١٣٠) : « وُضع الشطرنج لصفة الحرب ولِما فيه من قصد المغالبة وهو يُنهض القوّة الغضبيّة وهو من وضع الهند واقتباساتهم مثال في سياسة الملك وتدبير الحرب » . وقال الوطواط في غرر الخصائص الواضحة (ص ١٥٦) : « وضع بعض حكماء الهند الشطرنج وبيّن للوكهم فيها ما خفي عنهم من مكايد الحروب وكيفيّة ظفر الغالب وخذلان المغلوب وبيّن فيها التدبير والحزم والاحتياط والمكيدة والاحتراس والتعبية والنجدة والقوّة والجلد والشجاعة والبأس فمن عدم شيئاً من ذلك عُلم موضع تقصيره ... والتقصير سبب الهزيمة والتلف وعدم المعرفة بالتعبية داعٍ الى الانكشاف » . وقد نشرت مجلة المشرق ١٣ [١٩١٠] : ٧٧ — ٣٩) ارجوزة لابن الهبارّية بيّن فيها الراجز غاية لعب الشطرنج وما فيه من الحكم لاتقان آداب الحرب. ولعليّ بن الجهم وصف مثلهُ حيث قال :

ارضٌ مربّعةٌ حمراء من أدَمٍ	ما بين جيشَين مصفوفين بالكرمِ
تذاكرا الحرب فاحتالا لها شُبهاً	من غير ان يأثما فيهِ بسفكِ دمِ
هذا يكرُّ على هذا وذاك على	هذا يكرُّ وعينُ الحرب لم تنمِ
فانظر الى فِطنٍ جاشت بفكرهما	بعسكرَين بلا طبلٍ ولا علَمِ

وقد ذكر المسعودي في مروج الذهب (١ : ١٥٩) الحكمة في وضع الشطرنج بقولهِ : صُنعت الشطرنج في أيام بلهيث ملك الهند فقضى بفضلها على النرد وبيّن الظفر الذي يناله الحازم والنكبة التي تلحق بالجاهل وحسب حسابهما ورتّب لذلك كتاباً للهند يعرف « بطرّق جنكا » يتداولونهُ بينهم ولعب بالشطرنج مع حكمائهِ وجعلها مصوّرة تماثيل مشكّلة على صور الناطقين وغيرهم من الحيوان ممّا ليس بناطق وجعلهم درجات ومراتب ومثّل الشاه بالمدبّر الرئيس وكذلك ما يليها من القطع واقام ذلك مثالاً للاجسام العلويّة التي هي الاجسام السماويّة من السبعة (اي السيّارات) والاثني عشر (اي منطقة البروج) وافرد كلّ قطعةٍ منها بكوكب

وجعلها ضابطة السلكة . فاذا كان عدوٌ من اعدائه فوقعت فيهم حيلة في الحروب نظروا من اين أُتوا في عاجل او آجل . والهند في لعب الشطرنج سرٌ يسرّونهُ في تضاعيف حسابها ويتخلفون بذلك الى ما علا من الافلاك ... وما تقتضيه سائر المؤثرات العلوية في هذا العالم .

وقد شاع لوضع الشطرنج غايةٌ أُخرى نوّه بها الكتبة قالوا : انّ اردشير بن بابك كان وضع لعب النَّرد ليبيّن انّ امور الناس تجري على حسب القضاء والقدَر وان الانسان ليس لهُ تصرُّف في نفسه لا يملك لها نفعاً ولا يدفع عنها ضرراً ولا يقدر ان يجلب لها سعداً ولا شقاء بل هو مصرَّف على حكم القضاء كاللاعب بفصَّي النرد (زهر) لا يعلم ما يردان عليه من خير او شرّ من نفع او ضرّ أيكون غالباً او مغلوباً . فعلى ذلك المثال يكون تارةً غنياً وتارةً فقيراً على حسب تقلُّب الاقدار به . فلمّا رأى حكماء الهند ما نواهُ واضع النرد خالفوهُ بوضع الشطرنج ليثبتوا انّ احوال الناس تجري بحسب العقل لا الصدفة وهذا هو رأي قوم من كبار العلماء منهم اكثم ابن صيفيّ حكيم العرب فانهُ قال : المرء يعجز لا المحالة (١ يريد انّ الانسان يعجز لا الحيلة فانّها موجودة دائماً لكنّ الانسان يعجز ولا يهتدي اليها وهذا ما اشار اليه بديع الزمان بقوله في مقامته البغداديّة :

أَعمِلْ لرزقك كلَّ آلهْ لا تقعُدَنَّ بكلّ حالهْ
وانهَضْ بكلّ عظيمةٍ فالمرء يعجزُ لا المحالهْ

ورُوي هناك «لا محالة» فظنَّ الشارح انَّ معناه انَّ المرء يعجز بلا شكّ والصواب انَّ معناه « اسعَ واجتهد ولو كان الامر عظيماً فانَّ الحيلة موجودة وهي لا تعجز وانّما العجز يكون من المرء» .

وترى الكتبة تارة يجنحون الى القول بالقضاء والقدر وتارة يعدلون الى السعي الشخصي والحزم في العمل . وهنا لا بُدَّ من التمييز بين الامور العموميّة التي لا تداخل فيها للحرّيّة البشريّة التي حكم الله بها بقضائه ويدبّرها بحكمته وعنايته وبين

١) المَحالة والمَحال والحيلة والاحتيال بمعنى واحد . كذا في مختارات الصحاح . وقولهم لا مَحالَ هو مصدر ميميّ بمعنى التحوُّل من حالَ الى كذا اي تحوَّل اليه وخبر لا محذوف اي لا محالة موجودة (حسن چلبي)

الامور المنوطة بجزئية كل انسان التي لا تقع تحت قضاء الله السابق بل تحت قضائه اللاحق اي التابع لاختيار المرء . فان هذه الامور الاخيرة تستدعي حزم الانسان وسعة وتوجيه رؤيته الى ما هو افضل له (اطلب في المشرق ٣ [١٩٠٠] : ٨٩٩ مقالة في القضاء والقدر) وفيها يصحّ قول العامّة في مثلهم عن لسانه تعالى : « قوم تأقوم معك» وكذلك المثل الفرنساوي : aide-toi le Ciel t'aidera . وعلى هذا الوجه يجب تفسير ما جاء في الاسفار المقدّسة وفي غيرها حيث تُنسب الامور حيناً لله وحيناً للانسان دون الله وربّما كان كلاهما عن الامور المقدّرة من الله التي لا دخل فيها للمشيئة البشريّة

٤ اصناف الشطرنج

لا يُعرف في يومنا من لعب الشطرنج غير الآلة الشائعة منهُ في كل البلاد . وقد عرف القدماء من اهل الهند وغيرهم اصنافاً أخرى قال المسعودي في مروج الذهب (٨ : ٣١٢–٣١٤) : «قد ذكر الناس ممّن سلف وخلف انّ جميع آلات الشطرنج على اختلاف هيئاتها ستّ صور لم يظهر في اللعب غيرها . (فاولها) الآلة المربّعة المشهورة وهي ثمانية ابيات في مثلها ونُسبت الى قدماء الهند . ٢ ثم الآلة المستطيلة وابياتها اربعة في ستّة عشر والأمثلة تُنصب فيها في اول وهلة في اربعة صفوف من كلّ الوجهين حتّى تكون الدوابّ منها في صفّين والبيادق في صفّين امامها ايضاً ومسيرها كمسير امثلة الآلة الاولى . ٣ والآلة المربّعة وهي عشرة في مثلها والزيادة في امثلتها قطعتان تُسمَّيان الدبّابتين ومسيرهما كمسير الشاه الّا انّهما يأخذان ويؤخذان . ٤ ثمّ الآلة المدوّرة المنسوبة الى الروم . ٥ ثمّ الآلة المدوّرة النجوميّة التي تسمّى الفلكيّة وابياتها اثنا عشر على عدد بروج الفلك مقسومة بصفّين ويتنقّل فيها سبعة امثلة مختلفة الالوان على عدد الخمسة الانجم والنيّرين (اي السيّارات) وعلى الوانها . . . ٦ ثم آلة اخرى تسمّى الجوارحيّة استُحدثت في زماننا هذا وهي سبعة ابيات في ثمانية وامثلتها اثنا عشر في كلّ جهة منها ستّة كلّ واحدة من الستّة تسمّى باسم جارحة من جوارح الانسان التي بها يميّز وينطق ويسمع ويبصر ويبطش ويسعى وهي سائر الحواس والحسّ المشترك الذي من القلب» انتهى قول المسعودي

وذكر ابن عربشاه في تاريخ تيمورلنك انَّ هذا الامير كان ملازماً للعب الشطرنج مع بعض الشطرنجيين كمحمَّد بن عُقَيل الخيمي ّ وزين اليزدي وعلاء الدين التبريزي ومن قولهِ لعلاء الدين : « انتَ في ملك الشطرنج فريد كما اني في سياسة الملك وحيد » . قال ابن عربشاه انَّ علاء الدين كان يلعب هو والامير (اي تيمور لنك) بالشطرنج الكبير ورأيتُ عندهُ شطرنجاً مدوَّراً وشطرنجاً طويلاً . . وكانت عَلَتْ هِمَّتُهُ عن الشطرنج الصغير فكان يلاعب بالشطرنج الكبير ورقعهُ عشرة في احد عشر وفيهِ من الزوائد جمَّلان وزرافتان وطليعتان ووزير . والشطرنج الصغير بالنسبة الى الكبير كلا شيء ورسم الشطرنج الكبير بهذه الصورة :

[illegible]		[illegible]		[illegible]	[illegible]	[illegible]		[illegible]		[illegible]
[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]
[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]		[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]

اربعة ابيات

الرخ يدق	الفرس يدق	الدبابة يدق	الطليعة يدق	الزرافة يدق		الفيل يدق	الجمل يدق	الوزير يدق	الفرس يدق	اليدق يدق
رخ	فرس	دبابة	طليعة	زرافة	الشاه يدق	زرافة	طليعة	دبابة	فرس	رخ
فيل		جمل		وزير	شاه	فرزين		جمل		فيل

واخبار الشطرنج كثيرة فنكتفي بما اوردنا منها

المشاريع الكاثوليكية في حلب

للاب لويس شيخو اليسوعي

وعدنا في عددنا السابق باننا نفرد نبذةً موجزة لذكر ما انشأهُ الحلبيُّون الكاثوليك من المشاريع الدينيَّة المنبئة بما طُبعوا عليهِ من التقى والغيرة في خلاص النفوس. وها نحن نقسم ذلك ثلثة اقسام نعدّد في القسم الاوَّل مشاريعهم التقويَّة . وفي الثاني منشآتهم لتهذيب الشبَّان وتعليم الاحداث وارشادهم . وفي الثالث نذكر اعمالهم الخيريَّة لمساعدة البؤوسين

١ المشاريع التقويَّة

هي متعدّدة . اخصُّها الاخويَّات المريميَّة التي لم تزل منذ انشائها الاوَّل في رومية في القرن السادس عشر تأتي بالاثمار الجنيَّة وتوطيد روح الدين والتقى حيثما تُقام لاكرام العذراء الطاهرة التي تمدُّ المشتركين فيها بأسبغ النعم . وقد سبقت حلب غيرَها من مدن الشام في تأسيس هذه الاجتماعات الدينيَّة منذ القرن السابع عشر بهمَّة المرسلين لاسيَّما الآباء اليسوعيين الذين اقاموا نحو عشر اخويَّات مريميَّة للطوائف الكاثوليكيَّة المختلفة منها للرجال ومنها للنساء وبعضها للشبَّان او الاحداث وقفنا على اعمال كثيرين من المنتمين اليها مدوَّنة في سجلَّات قديمة فهي تدلّ على وفرة دينهم وحسن سيرتهم وممارستهم لكل الفضائل المسيحيَّة

وقد عادت هذه الاخويَّات في حلب منذ خمسين سنة الى نشاطها السابق اذ عرف الحلبيُّون فضلها في إنعاش روح الايمان في القلوب ودفع المنضوين اليها الى كلّ المحامد واعمال البرّ . وهي اليوم تعمّ سائر الطوائف الكاثوليكيَّة في الشهباء يتبادر الى انشائها ارباب الاكليروس والمرسلون معاً فلا تكاد تخلو كنيسة من بعضها يتبارى مرشدوها واعضاؤها غيرةً في ترقيتها ونجاحها

فمما سُررنا بمشاهدته من تلك الاخويَّات التقويَّة في كنيسة الآباء اليسوعيين اخويَّة سيّدة الاحزان (الامّ الحزينة) للرجال ولاسيَّما العَمَلة من كلّ الطوائف يبلغ

عدد اعضائها اليوم ٣٥٠ شخصاً ممتازين بتقاهم وغيرتهم وتشبّثهم بكل وصايا الدين يجتمعون كلّ احد بعد الظهر ويقضون ساعةً في تلاوة فرض السيّدة وسبحتها واستماع الارشادات والتغنّي بمدائح امّ الله الموقعة على الآلات الموسيقيّة الرخيمة

وللنساء فيها اخويّتان الواحدة عموميّة على اسم اخويّة الميتة الصالحة والاخرى خاصة بالفتيات بنات مريم تحت اسم اخويّة الحبل بلا دنس وكلتاهما نامية العدد عريقة بالعبادة يجتمع اعضاء الاولى يوم الاربعاء والثانية الخميس. ويدير الآباء اخويّة ثانية نسائيّة للميتة الصالحة في حيّ العزيزيّة في كنيسة الكلدان

وفي كنيسة حضرة الآباء المرسلين الفرنسيين غير الكاتدرائيّة اخويّة مريميّة للشبّان يديرها احد كهنة الروم الكاثوليك الافاضل يحضر اجتماعاتها اكثر من ٦٠ عضواً ويترنّمون بالتسابيح المريميّة الموقعة على آلات الموسيقى

وقد انشأ اكليروس الروم الكاثوليك ايضاً في كنيستهم في حيّ الجديدة وحيّ شارع سوس اخويّتين للرجال اصابتا نجاحاً عظيماً ينضمّ الى كلّ منهما العدد العديد من ذوي التقى والصلاح

وكذلك الموارنة قد انشيءت لهم اخويّة على اسم سيّدة مونتليجون (Mont-ligeon) وهي جمعيّة تقويّة أُنشئت سنة ١٨٨٤ في بلدة من ابرشيّة ساي (Séez) في فرنسة فانتشرت في بلاد كثيرة وغايتها اسعاف الانفس المطهريّة وقد اغناها الحبر الاعظم بعدّة غفرانات ونعم روحيّة

وكان منشئها في الشهباء سيادة الحبر الجليل ميخائيل اخرس في زمن كهنوته فاصابت نجاحاً عظيماً حتى بلغ عدد المشتركين فيها من الشبّان نحو ٨٠٠ وضاق بهم معبد اجتماعهم في الزقاق الطويل فالتجأ مرشدهم الغيور الى ذوي الاحسان فجمع من الدراهم ما كفاهُ لتشييد كنيسة جميلة تُعدّ من اعظم وابدع كنائس حلب اقامها في حيّ الحميديّة. وقد اخمدت الحرب الاخيرة نوعاً همّة اعضائها وانّما عادوا اليوم الى ممارسة فرائضهم السابقة واستئناف غيرتهم. وللموارنة في كنيستهم في الحميديّة اخويّة اخرى للنساء تُقام كلّ يوم خميس

ومن الاخويات التي تأتي حاضراً في حلب بالثمار التقويّة الشائقة اخويّة الورديّة المقدّسة المنتسبة الى سيّدة پومپي. وان سألت ما هي پومپي وما هي سيّدتها ؟

اجتاك أنها مدينة قديمة رومانية شهيرة راقية الحضارة . كان موقعها جنوبي نابولي على مسافة ٢٤ كيلو متراً من جبل الفيزوف ذي البركان الناري الذي فار فائرهُ سنة ٧٩ للمسيح فسجّى بحُممهِ ورمادهِ مدينة بومبيي وغطّاها بكفن من الللاط لا ينفذ فيهِ الريح فبقيت المدينة اجيالًا تحت ذاك الكفن الحجري الى ان انتبه اليها في القرن الماضي ارباب الامر ومحبّو الآثار القديمة فاخذوا يكشفون عنها سترها البركاني ليعيدوها الى حالتها القديمة من ازقّة وشوارع وبيوت ونوادي عموميّة واروقة وتماثيل ونقوش فيظن زائر آثارها انهُ يرى مدينةً نائمة ليست مدينةً غابرة ميتة

ففي بعض جوانب هذه المدينة اقام احد الايطاليين من رجال الخير والتقى يدعى بارتولو لونكو سنة ١٨٨٧ معبداً لسيّدة الورديّة زانهُ بضروب المحاسن الهندسيّة وضمّ اليهِ مأوى للفتيات اليتيمات والاولاد الفقراء والمهملين لاسيّما ابناء المحبوسين والمحكوم عليهم بالاعمال الشاقة وجعل تلك المآوى تحت نظارة رواهب غيورات وجعل عبادتهنّ الخاصّة سيّدة الورديّة المنسوبة الى بومبيي وهناك صورتها وتمثالها كما ظهرت للقديس دومينيك وأوحت اليهِ بورديّتها . وقد بارك الله هذا العمل واظهر ثقة قوّتهُ بما اجرى من الآيات الباهرة العديدة حتّى انتشرت عبادة سيّدة ورديّة بومبيي في انحاء اوربة فأحبّ حضرة الاب يوسف ربّاط الكاهن السرياني الحلبي الغيور ان يشرك مواطنيهِ في الشهباء بهذه النعم فانشأ في كنيسة طائفته الجليلة اخويّة ورديّة سيّدة بومبيي فنالت من الحظوة والاستحسان ما جاوز أملهُ وكثر عدد المشتركين بها حتّى بلغ كما قيل لنا نحو ٣٠٠٠ فقسمها الى عدّة فروع للرجال والشبّان والنساء والبنات . وقد خصّ بها احد مذابح الكنيسة فزانهُ بصورة سيّدة الورديّة العجائبيّة وبتماثيل كبيرة جميلة الصنع تمثل البتول عند ظهورها للقديس دومينيك لتوحي اليهِ بالورديّة مع تمثال القديس وتمثال القديسة كاترينا السيانيّة . وقد قدّمنا الذبيحة الالهيّة على ذلك الهيكل وسُررنا بما وجدناهُ من المزدحمين حولهُ كما أطربتنا اصواتهم الخشوعيّة التي تتلو صباح مساء ورديّة العذراء الجليلة . فنثني على همّة منشئ هذه الاخويّة ومساعديهِ والمشتركين بعملهِ المبرور

هذا وانّ للارمن الكاثوليك اخويّتهم ايضاً وهي على اسم سيّدة الحبل بلا دنس يعرب المشتركون بها عمّا طُبع عليهِ بنو طائفتهم من التقى والتعبّد لسلطانة السماء التي

لم تضن بنعمها السابقة اليهم . وقد كان الطيب الذكر المرحوم الورتبيد بولس بليط قد انشأ في كنيستهم اخويَّة على اسم «قلب مريم» صادفت اقبالاً عظيماً سنين طويلة ثمَّ أتت الحرب فأخمدت انفاسها ولعلَّ سيادة المطران اوغسطين صائغ يهمّ بعد رجوعه مؤخَّراً من الاستانة بتجديد حياتها بمساعدة بعض كهنته الافاضل

هذا ما وقفنا عليه من الاخويَّات المنشأة في حلب في الطوائف الكاثوليكيَّة .

ولا شكَّ انَّ في مدارسهم ومدارس الراهبات اخويَّات أخرى لطلبة وفتيان تلك المدارس ضربنا صفحاً عن ذكرها

ولا يسعنا الَّا الثناء على جمعيَّة اخرى تقويَّة تمتاز عن الاخويَّات وتُنظَم بين الرهبانيَّات تُساعد كثيراً على تقديس النفوس والعيال المسيحيَّة نريد بها الرهبانية الفرنسيسيَّة الثالثة التي افردنا لها مقالةً سابقة في المشرق (ص ٥٣٨) ومنها فرعٌ في حلب تحت ادارة حضرات ابناء القديس فرنسيس يبلغ عدد المنتمين اليها ٦٠ عضواً فتمنَّى لها كلَّ النجاح

ونُضيف الى هذه الاعمال التقويَّة عملين آخرين حريّين بالذكر : الاول اجتماع كهنة كلّ الطوائف الكاثوليكيَّة تحت رئاسة رُعاتهم الاجلاء في عصر الخميس الواقع قبل اوَّل جمعة من الشهر في احدى الكنائس بالمناوبة فيتلون هناك بعض الصلوات لأكرام القلب الاقدس ويسمعون ارشاداً في اخصّ واجبات الكهنوت ويختمون ذلك ببركة القربان الاقدس . وقد اسعدنا الحظّ على حضور ذاك الاجتماع فوجدنا تعزية كبرى في ورع الكهنة وتفاهم العميق وارتباط قلوبهم على اختلاف طوائفهم

وفي مساء ذلك النهار عينه يصير في كنيسة الآباء اليسوعيين اجتماع آخر جزيل الفائدة لنموّ العبادة المسيحيَّة نريد به اجتماع اخوة السجود الليلي فيقضون ساعة جاثين امام القربان الاقدس ومقدّمين لقلب يسوع الالهي تكفيراً عمَّا يصيبه من الاهانات لاسيَّما في سرّ محبَّته . وفي هذه الجمعيَّة مشتركون من كلّ الطوائف بينهم الاغنياء والفقراء، الشيوخ والشبَّان الكهنة والرهبان ينيف عددهم على المائتين تراهم يتبارون جميعاً في اكرام القلب الالهي فيأخذ منظرهم بمجامع القلوب

٢ – المشاريع التهذيبية للشبان والاحداث

قد مرَّ لنا ذكر المدارس في حلب والمشروعات الادبيَّة التي توفَّرت فيها للتهذيب لشأن . ونزيد على ما قلنا هناك انَّ للطوائف الكاثوليكيَّة ما عدا المدارس الثانويَّة مدارس غيرها ابتدائيَّة مجَّانيَّة للطبقة الفقيرة من العيال المسيحيَّة نخصّ منها بالذكر مدرسة لطائفة اللاتين تحتوي على ١٥٠ تلميذاً . ثمَّ مدرسة أُخرى لطائفة الروم لكاثوليك . ومثلها للسريان وللارمن الكاثوليك . وقد اقامت ايضاً جمعيَّة مار منصور مدرسة لهؤلاء الفقراء لا يقلّ طلبتُها عن المئة . ونظنُّ انَّ للراهبات مدارس مثلها مجَّانيَّة لفتيات الفقيرات

وفي حلب مشروعات غيرها لتهذيب الناشئة اجدها نفعاً وافضلها غاية النادي لكاثوليكيّ الذي يُعنى بتدبيرهِ كهنةٌ افاضل من طائفة الروم الكاثوليك وهو تحت إشراف سيادة المطران مكاريوس سابا الجزيل الاكرام . يجتمع فيهِ خمسون ضوءاً من نخبة الشبان

وممَّا تتَّحد الالسنة والقلوب في تحميدهِ والثناء على القائمين باعمالهِ جمعيَّة اخوة تعليم المسيحي التي كان انشأها في حلب المرسل الغيور الاب جليان هنري اليسوعيّ سنة ١٨٨٦ فراجت سوقها رواجاً عظيماً بهمَّة بعض شبَّان الشهباء المتحمّسين في ينهم المتقدين غيرةً في نشر ايمانهم المقدَّس . فجرت على هذه الجمعيَّة تقلُّبات شتَّى بعد فاة منشئها وقد جدَّت قواها بعد الحرب وعادت الى سابق مآثرها وهي تتألَّف اضراً من ٣٥ عضواً معظمهم من الأُسر الحلبيَّة الوجيهة ينتمون الى كلّ الطوائف كاثوليكيَّة . وهم يديرون خمسة تعاليم اي خمس فرق من الصبيان في احياء فقيرة ختلفة فيجمعون الصغار في اوقات معلومة ويلقّنونهم الصلوات ومبادئ التعليم سيحي ويعدّونهم لتناولة القربان الاولى فتقام لذلك حفلات شائقة في المواسم كبيرة ويوزّعون عليهم الكسوة في ابتداء فصل الصيف ثمَّ يتدبرون الرجال والشبان أيام الصوم ليلقي عليهم احد الكهنة بعض المواعظ لرياضة روحيَّة

ثمَّ وجد ذوو الغيرة والتحمّس انَّ بعض العَمَلة غير الفتية الصغار يحتاجون ، معرفة دينهم وواجباتهم المسيحيَّة وهم يستنكفون من حضور مجتمعات اولئك

الاحداث فلذلك عمدوا رجاء في استجلابهم على فتح مدارس ليليّة يدعون اليها اولئك العملة فيعلمونهم مبادئ القراءة والكتابة . فلبّى دعوتهم بعض زملائهم من اخوة التعليم واعضاء جمعيّة مار منصور دي بول فتكلّلت مساعيهم بالنجاح ثمّ اضافوا الى التعليم المدرسيّ التعليم الديني فوجدوا في قلوب اولئك العملة تربةً صالحة جازتهم عن اتعابهم . وقد خصّ كثيرون منهم يوم الجمعة ببعض الاعمال التقويّة على شبه الاخويّات فيجتمعون في كنيسة السريان فيتلون المسبحة ويسمعون الارشاد الذي يلقيه عليهم احد الكهنة وينالون بركة سيّدة الورديّة

وللبنات الفقيرات ايضاً اجتماعات اسبوعيّة يوم الاحد ليتعلّمن مبادئ الدين والصلاة ويُعِددن نفوسهنّ للمناولة الاولى . وتقوم راهبات القلبين الاقدسين بهذا العمل الاثير بموجب نذورهنّ في مدارسهنّ في التوري والعلاف والحميديّة حيث يُنيف عدد البنات المجتمعات لهذه الغاية على الستّمائة فيتربّين على اصول ديانتهنّ ويألفن الفضيلة منذ نعومة اظفارهنّ

٣ الاعمال الخيريّة

كما طُبع اهل حلب على التقى والعبادة كذلك جُبلوا على اسعاف البؤوسين والرحمة نحو الفقراء . وقد ظهرت مبرّاتهم خصوصاً في أيام الحرب الكونيّة فانهم لم يمدّوا فقط يد المساعدة نحو البائسين من اهل وطنهم بل تبرّعوا ايضاً بسخاء بالمال نحو المنكوبين الذين احتلّوا ربوعهم او نفتهم الى الشهباء . الحكومة التركيّة او اجتازوا بها قبل نفيهم الى الداخليّة لاسيّما الارمن فانّ كثيرين من اهل الخير استنفدوا الوسع لاعانة هؤلاء المظلومين . ومنهم من كانوا يزوّدونهم في سجونهم وفي مضاربهم المنصوبة خارجاً عن البلد فلطّفوا اوجاعهم وخلّصوا البعض منهم من براثن اعدائهم

ولمّا حطّت الحرب عن اوزارها شمّر اصحاب المروءة والرحمة عن ساعد الجدّ لتضميد جروحاتها وشكّلوا بمساعدة الحكومة المنتدبة اللجن لاسعاف المحتاجين ومعالجة المرضى . ولكل طائفة اليوم لجنتها المهتمّة بمساعدة ذويها . وقد مرّ لنا ذكر جمعيّة مار منصور دي بول وغيرة رئيسها واعضائها في مباشرة اعمال الرحمة

وممّا يُذكر بالشكر ميتمٌ لطائفة الروم الملكيين يُعنَون فيهِ باعاشة وتربية نحو ٥٠ ولداً

وكذلك للسريان مأوى ليلي كان يلتجئ اليهِ اهل البأساء المتطمون فيتّقون فيهِ من قواجع الطرقات والشوارع. وقد نوَّهنا بذكر المأوى الذي فتحتهُ الحكومة المنتدبة بعد دخولها الشهباء

ولا يسعنا السكوت عن المستشفيات الكاثوليكيّة في حلب اكبرها واجمعُها لاسباب راحة المرضى وعلاجهم مستشفى راهبات مار يوسف الذي ادَّى من الخدم الجليلة في زمن الحرب وبعدهُ ما أنطق ألسنة الجميع بفضل مديراتهِ وثقافتهنَّ كما عرفوا جميلهنَّ بتخريج الفتيات في مدرستيهنَّ الداخليَّتين

ومثلهُ مستشفى كانت تديرهُ في الحرب راهبات سان شرل الالمانيات توارد اليهِ عدد عديد من الجرحى والمرضى فوجدوا في القائمات بإدارتهِ ملائكة من الرحمة والشفقة

وممَّا احدثهُ الايطاليّون في حلب بعد اعلان السلم مستشفى لمعالجة ابناء جلدتهم جعلوا تدبيرهُ في ايدي راهبات الطوبوي كوتولنكو الذي اثبت الكرسيّ الرسوليّ قداستهُ

هذا بعض ما احاط بهِ علمنا من مشروعات الكاثوليك الدينيَّة والتهذيبيَّة. ولعلَّهُ فاتنا شيءٌ منها ممَّا لا يجهلهُ الله ومكتوب ثوابهُ في سفر الحياة

أَلنَّصرانيَّة وآدابها بين عرب الجاهليَّة

للاب لويس شيخو اليسوعي (تابع)

٣ الشعر النصراني

رأيت في ما سبق انَّ النهضة الشعريَّة كانت خصوصاً في القرن السادس للمسيح

اي القرن السابق لظهور الاسلام وفي تأخر تلك النهضة سرّ غامض ارتاب في كنهه الباحثون عن اخبار الجاهلية ، فهذه أمة عظيمة منتشرة في بلاد تكاد مساحتها تساوي مساحة اوربة في اطرافها الممالك الوطنية ذات الجاه والشرف والسلطان سبقت الاسلام بعدّة قرون لا ينقصها شيء من اسباب الحضارة والعمران بينها ارباب العقول الراجحة والاذهان المتّقدة لسانها من اغنى الالسنة واشرفها واقدرها على التعبير عن كل العواطف البشرية وهي مع ذلك لم تنتج شاعراً مفلقاً قبل اوائل القرن السادس وذلك باقرار اقدم الكتبة من العرب . فكيف يا تُرى يمكن تعليل ذلك الخمول ؟

إنّنا طالما امعنّا النظر في هذا الامر واستقصينا البحث فيه فلم نجد له شرحاً مقبولاً الّا بان نقول ان النصرانية كانت اصل تلك النهضة ولأنها لم تبلغ في جزيرة العرب نفوذها وعزّها الّا في القرن السادس وان كان دخولها الى الجزيرة سبق ذلك العهد فكذلك بلغت النهضة الادبية معها الى اوج عزّها في ذلك الجيل

١ وكان من نتائج توغل النصرانية في جهات العرب أنها سوّلت لهم طرقاً للكتابة التي لا تستطيع الآداب ان تنتشر وترتقي دونها . فاستمدّ العرب فنّ الكتابة من نصارى العراق والنبط والحبش . تلك المصادر الثلثة للاقلام العربية الاولى اعني القلم النسخي والمسند والكوفي . وقد اثبتنا ذلك في باب خاصّ عليك بمراجعته (ص ١٥٢ — ١٥٨) . وناهيك به على ما كان للنصرانية من السهم الاوفر في حفظ المآثر الادبية ونشرها . وقد وقع ذلك في القرن السادس

٢ وكان للنصرانية فضل آخر على ترقية الآداب بين العرب انّ اوليها مع نشر الكتابة نشروا ايضاً التعليم امّا بفتح المدارس للناشئة وامّا بالتعليم الخاص وقد جمعنا في فصل سابق (ص ٣٨٩ — ٣٩١) بعض الشواهد الثبتة تقولنا منها المدارس المتعددة المنشأة في العراق في اديرة الرهبان وغيرها كان يحضرها احداث العرب كما ذكرنا هناك عن المرقّشين الاكبر والاصغر وعن عديّ بن زيد وعن ورقة ابن نوفل والعرّاق ابن روحان . ونوهنا ايضاً بذكر معلمين نصارى في مكة والمدينة وغيرهما . فليت شعري أيحتاج الى برهان اعظم لبيان تأثير النصرانية في آداب الجاهلية وشعرائها المتقدمين في ذلك القرن السادس ؟

٣ ومن الأدلة المقنعة على انّ النصرانية هي التي بعثت الشعر العربي والترجمة

من مهدهِ في القرن السادس انّ ذاك الشعر كان ظهورهُ اوَّلًا بين القبائل النصرانيّة. فان استفتينا على ذلك اقدم الكتبة كابن قتيبة في كتابَيهِ المعارف وفي الشعر والشعراء وابن سلّام الجمحي في طبقات الشعراء (ص٢٢) وابن الرشيق القيرواني في العمدة (ص٥٤) ثمَّ السيوطي في المزهر (٢: ٢٣٨) أجابونا باتّفاق الاصوات انَّ الشعر العربي كان اوّلًا في ربيعة . وقد اثبتنا شيوع النصرانيّة في ربيعة كما اجمع عليهِ الرواة كابن قتيبة (في المعارف ص٣٠٥) وابن رُسته في الاعلاق النفيسة (ص٢١٧) وغيرهما (راجع الصفحة ١٣٠). ومن ربيعة كانت تلك القبائل العظيمة التي كادت تستولي على جزيرة العرب كبكر وتغلب ابنَي وائل وكبني امرئ القيس وشيبان وعجل وحنيفة وقد حقَّقنا نصرانيّتها كلّها استنادًا الى معظم الكتبة. فالنتيجة بعد ذلك ظاهرة وهي نصرانيّة الشعراء المنتمين اليها الذين سبقوا غيرهم زمنًا كما سبقوهم الى تقصيد القصائد . قال الفرزدق يذكر المهلهل التغلبيّ :

وهلهلُ الشعراء ذاك الاوّلُ

٤ ولنا بيّنة أُخرى على نصرانيّة هؤلاء الشعراء الاوَّلين نعني بها منازلهم التي كانوا يسكنونها مع قبائلهم فانَّ قبائل ربيعة كانت تحتلُّ مفاوز ما بين النهرين من الفرات شرقيّ حلب وجنوبها الى جهات الموصل والعراق ولا يزال يُطلق على قسم كبير منها اسم ديار بكر وديار ربيعة. وكانت هناك النصرانيّة راسخة القدم منذ القرن الرابع للمسيح فتنسَّك فيها الجبناء بعدد وافر كصعيد مصر وتشيَّدت فيها اديرةٌ ذكر منها كتبة السريان والعرب ما ينيف على المئة عدًّا . فما لبثت تلك القبائل العربيّة ان جحدت الشرك ودانت بدين المسيح وقد دوّنا في القسم التاريخيّ كثيرًا من اخبارها والشواهد على تنصُّرها نقلناها عن اصدق الرواة من يونان ولاتين وسريان بينهم كتبة كانوا معاصرين للامور التي يخبرون بها وشهود عيانيُّون لما يدوّنونهُ في بطون التواريخ فتارةً يذكرون كنائسهم وتارةً اساقفتهم الساكنين بينهم في الحضر والمدَر وتحت الخيم وحينًا مزاراتهم الدينيّة الى غير ذلك من الدلائل الصريحة على ايمانهم

فلمَّا ظهر الاسلام اقرَّ كتبتهم بما تحقَّقوهُ من تنصُّر تلك القبائل وقد دوَّنا ما اعلنوا بهِ حيث قالوا « انَّ من قبائل العرب المتنصّرة بكر وتغلب ولخم وبهراء وتنوخ وجذام » وكلهم من ربيعة او من القبائل اليمنيّة المحالفة لهم

وممَّا يجدر بالاعتبار انَّ بين هؤلاء الشعراء قرابة يُستدلُّ بها ايضاً على وحدة دينهم فانَّ كليباً والمهلهل كانا خالي امرئ القيس بن حجر الكندي وامُّهُ فاطمة اختهما . وكان المرقّش الاكبر عوف بن سعد عمَّ المرقّش الاصغر عمرو بن حرملة وكان هذا عمَّ طرفة ابن العبد وكانت امُّ طرفة وردة وهي اخت المتلمّس جرير بن عبد المسيح

٥ ويؤيّد قولنا في نصرانيَّة هؤلاء الشعراء انَّ من يراجع دواوينهم او ما رُوي عنهم من القصائد لا تجد فيها اثراً للشرك وعبادة الاصنام اللهمَّ الَّا في بعض الاقسام التي بيَّنَّا انَّها كانت الفاظاً جارية على السنتهم كما ترى من اشكالها في ألسنة كلّ الشعوب دون اشارة الى معتقد البتَّة (اطلب الصفحة ٧٠٥)

٦ وعلى خلاف ذلك تجد في شعرهم آثاراً بيِّنة لاعتقادهم بالاله الواحد وبخلود النفس مع اقتباسات واشارات واضحة الى الأسفار المقدَّسة والى الانبياء والى العادات النصرانيَّة وقد جمعنا منها فصولاً واسعة مرَّ ذكرها في كتابنا هذا فلتراجع . وهذا يصحُّ ايضاً في معظم الشعراء الذين جمعنا قصائدهم في كتاب شعراء النصرانيَّة سواء كانوا من اياد او مضر او قضاعة او طيّ او من اليمانيَّة

ولا شكَّ انَّنا كنَّا وجدنا في منظوماتهم ما هو ادلُّ على دينهم لو لم يُفقد كثير منها . وزد على ذلك انَّ اهل اللغة الذين حاولوا جمع تلك الآثار لم يباشروا بتدوينها الَّا في اواسط القرن الثاني للهجرة اذ كان قسم كبير منها قد اخذتهُ يد الضياع او تلف بالنسيان . وكان هؤلاء الرواة مُسلمين لا يهمُّهم غير الفرائد الادبيَّة والنوادر اللغويَّة فيضربون الصفح عمَّا يرمز دينيّاً غير الدين الاسلامي . ويثبت ذلك ما تجد في المعاجم من ابيات متفرّقة دوّنت في طيّها لما يُستفاد منها اشياء كثيرة عن نصرانيَّة اهل الجاهليَّة رويناها في ما سبق كلآلئ فريدة من قلائد منفرطة

وان قيل ما لهم لم يصرّحوا بنصرانيَّة هؤلاء الشعراء فيزيلوا بذلك الشكَّ والريب ?

السبب (الاوَّل) لذلك كما قلنا انَّ الرواة السابق ذكرهم قلَّما سعوا في البحث عن اديان اولئك الشعراء . واذا تصفَّحت ما نقلوهُ من اخبار شعراء الجاهليَّة لا تكاد تجد تنويهاً باحوالهم الدينيَّة . وان ذكروا شيئاً من ذلك رووهُ استطراداً لا تعمُّداً . ولولا اشارات خفيفة عن البعض الذين لا شبهة في نصرانيَّتهم لما تحقَّقنا دينهم كقسّ بن

ساعدة وعديّ بن زيد وجابر بن حني والبُراق بن روحان وبسطام بن قيس

السبب (الثاني) لسكوت الرواة عن نصرانيّة اولئك الشعراء أنهم كانوا من قبائل عصاميّة صحيحة النّسب فما كانوا يرون داعياً الى ذكر دينها وكلّها متساوية في شرف جنسها العربيّ من قحطان او من عدنان على خلاف القبائل اليهوديّة فانّ الكتبة الاقدمين يميّزونها عن القبائل العربيّة ويصرّحون بيهوديّتها نسباً وديناً كقُريظة والنضير

والسبب (الثالث) الذي قضى على الرواة المذكورين الإضراب عن ذكر اديان الشعراء ما وجدوه من الاختلاف في نصرانيّتهم. فانّ دعاة النصرانيّة الذين دخلوا في جهات العربيّة لم يكونوا على معتقد واحد فكان بينهم الصحيح الايمان كالقديس بنتانوس (S^t Pantène) واوريجانوس وموسى رسول الغسّانيين والقديسين هيلاريون ونيلوس وافتيموس ثم عقبهم النساطرة في العراق وفي سواحل البحرين وعُمان واليمن واليعاقبة في جهات الفرات وما بين النهرين وبادية الشام. وكان فرّ الى جزيرة العرب كثيرون من المبتدعين لينجوا من مصادرة ملوك الروم وغيرهم كاللاأدريين والمنداثيين ومتنصّري اليهود المدعوّين بالإبيونيين والكسائيين وهلمّ جرًّا حتّى انّ القديس ابيفانيوس منذ القرن الرابع كان يصف جزيرة العرب بكثرة بدعها واضاليلها

ومن ثمّ اذا تكلّمنا عن شيوع النصرانيّة في جزيرة العرب لسنا نقصد بها الديانة الكاثوليكيّة الخالية من كلّ ضلال بل الدين المسيحي عموماً مع ما اختلط به من آراء الهراطقة الباطلة. والحقّ يقال انّ توفُّر هذه الشيع وتعاليمها المتناقضة هي التي سوّلت للاسلام الفوز بالنصرانيّة في جزيرة العرب وفي البلاد الخارجة عنها. وقد ظهر بعد ذلك في نفس الاسلام شيء كثير من تلك البدع كما ترى في كتاب الملل والنحل للشهرستاني ولابن حزم وغيرهما فكانت كنار تحت رماد شبّت بمساعي الخوارج والملحدين في ايّام الخلفاء.

وآراؤنا هذه من شيوع النصرانيّة في كلّ انحاء العرب ونفوذها في آدابهم وشعرهم قد حقّقها غيرنا من كبار المستشرقين كدي بِرسِفال ولونورمان في فرنسة وبلغراف (Palgrave) وليّال في انكلترة (١ وولهوزن في المانية فيرون في معظم الشعر الجاهلي

١) اطلب كتاب ليال في مقدّمة ترجمته الانكليزيّة G. Lyall : Translation of ancient Arabian Poetry

من عواطف وتصوير افكار ومعرفة حقائق عقليَّة وادبيَّة ما لا يمكن نسبتهُ الى غير النصرانيَّة ممَّا يخالف المعلومات التي سبق كتبة السريان واليونان والرومان فرووها عن العرب قبل ذلك العهد وذلك وفقاً لما نعلم عن تنصُّر المناذرة والغساسنة وملوك كندة وبعض التبابعة فأثَّرت نصرانيَّتهم في شعراء ذاك القرن السادس ندماء اولئك الملوك فقصدوهم متديّنين بدينهم. وقلَّما تجد شعراء نبغوا حينئذٍ في نواحي اخرى من العرب كنجد والحجاز وان وُجد بعضهم فآثار النصرانيَّة فيهم ظاهرة كورقة بن نوفل وزيد بن عمرو وشعراء طيّ (التتمَّة لعدد آخر)

خرافة البابا حنة

فكاهة تاريخيَّة للاب لويس شيخو اليسوعي

ماكنَّا لنظنّ ان بعض الخرافات التي اكل عليها الدهر في مواطنها وشرب تقطع البحر وتظهر في سواحلنا كالبضاعة الكاسدة في بلدها تُرسل الى الاقطار الاجنبيَّة لعلَّها تروج فيها

فمن هذه الروايات الصبيانيَّة خرافة البابا حنة سألنا رأينا فيها احد ادباء البروتستانت ابرهيم افندي الرشي وقد أطلعهُ عليها احد دُعاة الإرساليَّة الاميركانية فرأينا ان نفكه بها قرَّاءنا ليعلم السوريون الى اي حدّ يبلغ البغض للكنيسة الكاثوليكيَّة في قلوب اعدائها

١ من هي البابا حنة

زعم مؤرخو البروتستانت ومن استند اليهم في القرن السادس عشر انَّ فتاة اسمها حنَّة اصلها من ماينس في الالمانية عشقت في القرون الوسطى رجلًا سافرت معهُ الى بلاد اليونان فاستوطنا عاصمتها اثينة وانكبَّت حنَّة هناك على العلوم فبرَّزت فيها ونالت اجازاتها. ثمَّ مات عشيقها فعادت الى اوربَّة وتنكَّرت بملابس الرجال واتَّخذت

لها اسم يوحنا الانكليزي وسكنت رومية فاشتهرت فيها بعلومها . واذ توفي بابا رومية وقع عليها الاختيار فجلست على كرسي الخلافة البطرسية مدة سنتين بنيف . واضافوا الى هذه السفاسف انها اذ تصدرت في احد الطوافات الدينية تمخضت بمولود فعُرف امرُها ثمَّ حُكم عليها فرُجمت

هذه هي الرواية الغريبة التي اشاعها في سويسرة والمانية اولًا ثمَّ في بقيَّة الاقطار البروتستانيَّة انصار لوثاروس وكلوين فدوَّنوها في كتبهم كاحدى الحقائق الراهنة التي لا يجوز الشكّ فيها

٢ زمن وجود البابا حنة

يقول المثل العربيّ انَّ الكذب حبلهُ قصير . وفي مثل آخر انَّ جَلَبة الكذب لساعةٍ وغلبة الحقّ الى ظهور الساعة . وقد صحّ ذلك في رواية البابا حنَّة . وكان اوَّل ما لاح مكر المخترعين لتلك القصَّة الخسيسة اختلافهم في تعيين زمن وجود البابا حنَّة . ولا يُخفى على احد من المؤرخين المحقّقين المدقّقين انَّ السلسلة البابويَّة راقية بلا انقطاع الى عهد هامة الرسل القديس بطرس النائب الاوَّل للسيد المسيح ترويها السجلّات الرومانيَّة كما اثبتها غير واحد من مؤرخي الكنيسة وسواهم واذا راجعت تلك السلسلة لن تجد البتَّة انفصاماً في حلقاتها ولا ادنى اثر للبابا حنَّة المذكورة

وان سألت البروتستانت ان يعيّنوا تاريخاً صحيحاً للمرأة المزعومة انفرط عقدهم وذهبوا في تعيين زمنها مذاهب متناقضة كانت اوَّل دليل على كذب تلك الأشاعة . فنهم من زعموا انَّ حنَّة المذكورة جلست على الكرسيّ البابويّ في غرَّة شهر آب سنة ٨٥٤ بعد القديس لاون الرابع الشهير بما اضاف الى رومية من الاحياء التي عُرفت باسمهِ فدُعيت بالمدينة اللاونيَّة . والحال قد اجمع كلّ المؤرخين انَّ بندكتوس الثالث خلف لاون الرابع دون مهلة تُذكَر وتشهد على ذلك رسالة هنكمار رئيس اساقفة ريمس الذي اخبر انهُ ارسل وفداً الى البابا لاون الرابع ليثبت اعمال مجمع سواسون فلما وصلوا الى عاصمة الكثلكة وجدوا البابا قد مات وخلفهُ بندكتوس الثالث

ويشهد على الامر ذاتهِ ايضاً فوطيوس في كتابهِ عن انبثاق الروح القدس (Migne PP. GG., CII, 376-7) حيث يقول ما تعريبهُ : « قد عرف جيلنا حبراً جليلًا

شهدت معجزاتهُ على قداستهِ وهو البابا لاون الذي قام خلفاً له بندكتوس ذاك ملاك الحلم والمحبة. ثمَّ تبعهُ نقولا . . . .

وكتب المؤرخ المعاصر أدون من ڤينَّا من اعمال فرنسة في تاريخهِ (Migne:PP. LL. CXXIII, col. 137) قال: «أَنَّ توفي لاون الرابع خلفهُ على الكرسي الرسولي بندكتوس . . ثم قام بعد بندكتوس ذلك الحبر العظيم نقولا فدُفن عند وفاتهِ بقرب سلفهِ تحت رواق كنيسة القديس بطرس •

فترى انهُ ليس سندٌ البتَّة لزعم القائلين بجلوس البابا حنَّة في القرن التاسع. وقد ارتأى غيرهم انها كانت في القرن الحادي عشر وانَّ جلوسها على العرش البابوي كان سنة ١٠٨٩ وهو رأي جان دي مالي (J. de Mailly) وليس كلامهُ اثبت من السابق فانَّ في تلك السنة كان ضابطاً لأزمَّة الكنيسة البابا اوربانوس الثاني الشهير المعلن بالحروب الصليبيَّة الذي خلف في آذار سنة ١٠٨٧ ڤكتور الثالث المتوفى في ايلول ١٠٨٦. وقال ڤيان دي بوربون انَّ البابا حنَّة كان مالكاً سنة ١١٠٠ وهو ايضاً قول خالٍ من كلّ مسحة حقٍّ لأنَّ الجالس على السدَّة البطرسيَّة في تلك السنة كان احد مشاهير عصرهِ البابا بسكال الثاني الذي دبَّر كنيسة المسيح من السنة ١٠٩٩ الى ١١١٨. فهذه كلّ مخترعات القائلين بخرافة البابا حنَّة

٣ اصل هذه الخرافة وطريقة شيوعها

ولعلَّك تسأل وما اصل هذه الخرافة وكيف امكن مخترعيها ان يذيعوها في امكنة عديدة حتَّى حسبها بعض الكتبة من الامور التاريخيَّة الراهنة. ها نحن نبيّن ذلك استناداً الى اصدق المؤرخين الكاثوليك والبروتستانت معاً

لمَّا كانت السنة ١٥٥٠ نشر الكتبيّ البروتستاني المدعو جان هيرولد (J. Hérold) من مدينة بال في سويسرة تاريخين: الاوَّل لمؤلفٍ يُدعى ماريانوس سكوتوس (الاسكوتلندي) المتوفى سنة (١٠٨٥ م) وكان اصلهُ من ارلندة وترهَّب في رهبانيَّة القديس مبارك. ويبتدئ تاريخهُ من اوَّل العالم الى زمانه اي السنة ١٠٨٣. والتاريخ الثاني لمرتينوس البولوني رئيس اساقفة غنيسن المتوفى سنة ١٢٧٨ ألَّف تاريخاً جامعاً لاخبار الكنيسة منذ اوائل النصرانيَّة الى زمانه

فالمتولي أشر التاريخين السابقين تجاسر فدسَّ في الاول في تاريخ سنة ٨٥٤ ما تعريبهُ: «في غرَّة آب من هذه السنة توفي البابا لاون فخلفتهُ امرأة تُدعى حنَّة دبَّرت الكنيسة سنتين وخمسة اشهر واربعة أيام» فجعل هيرولد هذه الفقرة كمقدَّمة لما اراد بسطهُ في التاريخ الثاني لرئيس اساقفة غنيسن حيث روى ذاك الخبر الغريب على هذه الصورة: «قام في تدبير الكرسيّ الرسولي بعد لاون الرابع يوحنَّا الانكليزي من مايَنس فدبَّرهُ سنتين وخمسة اشهر واربعة أيام ومات في رومية. يقال انَّ يوحنَّا المذكور كان امرأةً رحلت في أيام شبابها مع عشيقها الى اثينة فتنكَّرت بلبس ثياب الرجال ودرست العلوم في تلك الحاضرة الشهيرة فبرعت فيها وغلبت اشهر اساتذتها بذكائها. ثم قدمت الى رومية على زيها متنكرةً فعلَّمت المنطق والطبيعيَّات والادب حتى تزاحم التلامذة حولها متخرين بالتخرُّج عليها. وقد بلغ بها علمها الفريد وحسن سيرتها الى انتخابها للمنصب البابويّ. لكنَّها لما اصابت ذاك المقام الرفيع خالفت سلوكها وفي بعض الأيام اذ كانت جاريةً في موكب فخيم من كنيسة القديس بطرس الى كنيسة مار يوحنَّا اللاترانيَّة تمخضت كما قيل بين كنيسة القديس اقليميس ومسرح الكوليزه فماتت ودُفنت هناك ولذلك لم يعد الاحبار الرومانيُّون يمرُّون على هذه الطريق انفةً وتكرُّهاً».

فلمَّا طُبع هذان الكتابان جعل المتشيِّعون الوتاروس واعداء الكنيسة يطبِّلون ويزمِّرون برواية هذه القصَّة ويزيدون عليها كلَّ ما تسوّل لهم مخيَّلتهم السمجة: غير انَّ ذوي النزاهة منهم ارادوا ان يتحقَّقوا صحَّة هذه الحكاية فطلبوا نسخاً مخطوطة من التاريخين المشار اليهما فما لبثوا ان وقفوا على وقاحة هيرولد وتزويره للكتابين فانَّ العلَّامة ڤيتز (M. Waitz) توفَّق الى اكتشاف النسخة الاصليَّة من تاريخ ماريانوس مخطوطةً بيده فلم يجد اثراً لتلك الرواية ثمَّ وُجدت نُسخ اخرى من كتابه وكلُّها خالية منها

وهكذا فعل العلماء البروتستانت بلوندل (Blondel) وليبنتس (Leibnitz) وصموئيل مار (S. Mares) وغيرهم في انتقاد تاريخ مرتينوس البولوني فثبت لهم تزوير هيرولد فقبَّحوا عمله واعلنوا بكذبه ومكره. واذ اراد المؤرِّخ سبانهيم ان يدافع عن صحَّة رواية حنَّة البابا فنَّد الفيلسوف ليبنتس حججهُ فلم يدع منها اثراً وتفنيدهُ

هذا في مجموع تآليفهِ (ك ١١ ص ٢٨١) وكفى بشهادة مثلهِ بياناً للحقيقة

وكان ممخرق آخر من البروتستانت زوّر مثل هيرولـد تاريخاً قديماً لسينبرت من كتبة القرن الثالث عشر فتصدّى له ناشرو مآثر جرمانية : (Pertz et Bethmann Monumenta Germaniæ) فأثبتوا في تآليفهم النسخة الصحيحة من هـذا التاريخ وقابلوها بنسخ غيرها وكلّها تجهل خرافة البابا حنّة

ولمّا عُقد في باريس موتمر پواسي (Poissy) سنة ١٥٦١ فحضرهُ البروتستانت والكاثوليك اعترض زعيم اهل الشيعة تاودورس دي باز (T. de Bèze) على الكاثوليك بقصّة البابا حنّة فقام ذاك الجهبذ المرتد عن البروتستانت الكردينال دو پرّون (Du Perron) فأفحمهُ فلم يُحرِ جواباً . واليوم لم يَعُد الى ذكر هذه الخرافة الّا الجهلاء الذين ليس لهم ادنى إلمام بالتاريخ او يستقون معلوماتهم من دائرة معارف البروتستانت القديمة (les Centuriateurs de Magdebourg) التي يأنف المحقّقون مراجعتها لكثرة اكاذيبها وترويراتها

ولعلّك تسأل الآن في التاريخ اثرٌ ما قد اتّخذهُ النصّابون كحجّة لروايتهم هـذه الغريبة ? يجيب العلماء على ذلـك بقولهم انّ هذه الرواية اشاعها بعض الايطاليين المادحين للبابا يوحنا العاشر سنة ٩١٤ لأنّ انتخابهُ صار بمساعي الاميرة تاودورة من دوقات مقاطعة توسكـانة التي كانت تسلّطت على رومية وتمكّنت بنفوذهـا من تنصيب البابا المذكور على الكرسيّ الرومانيّ فدعوا البابا تهكّماً البابا حنّة

وقال غيرهم وهو الرأي الرجيح انّهُ شاع في ايطالية انّ ذوي الاحزاب المتعدّدة الذين كانوا بسطوا حكمهم على مدينة القسطنطينيّة في اواسط القرن الحادي عشر اقاموا على كرسيها البطريركي امرأةً فبلغ الخبر الى مسامع البابا لاون التاسع فكتب سنة ١٠٥٤ لميخائيل كرولاريوس رسالة رُويت في جملة اعمال الآباء اللاتين (Migne, PP. LL. CXLIII. col. 760) يقول فيها ما تعريبهُ : «حاشانا ان نصدّق ما يتناقلهُ الصوت العام عن كنيسة القسطنطينيّة فانّهم يشيعون انّهُ جلست امرأة على كرسيها البطريركي بيد انّ ما نعرفهُ عمّا يجري في هـذه الكنيسة من القلاقل والى اي حدّ بلغت من إهمال القوانين المقدّسة في تنصيب رجال لا اهليّة لهم البتّة لتدبير الكنيسة يدفعنا الى الظنّ بوقوع مثل هذه الشكوك» . فلا يبعد انّ هذه الإشاعة عن كرسي

القسطنطينيّة حوّلها زورًا بعض الملاحدة على الكنيسة الرومانيّة وموّهوها بتفاصيل فريّة كاذبة . وعلى كلّ حال لو كان الكرسيّ الرسوليّ في القرن التاسع الى القرن الحادي عشر تدنّس بما نسبهُ اليهِ الشموذون لما كان سها كيرولاريوس بطريرك القسطنطينيّة وهو من ألدّ اعداء الكنيسة الرومانيّة عن تقريع البابا لاون التاسع وردّ سهمهِ اليهِ

فهذه نبذة قصيرة كان يمكننا ان نطيلها بشواهد غيرها تزيدها اثباتًا لكنْ في ما ذكرنا الكفاية لمن يطلب الحقّ ويزيّف الباطل

آثار قديمة في معراب

لحضرة الاب رينه موترد اليسوعي

قبل ان نباشر بوصف هذه الآثار احببنا ان نصدّرها ببعض المعلومات التي استفدناها من حضرة الخوري الفضال بطرس باسيل الذي حضر اكتشاف تلك العاديّات في معراب في بعض املاكهِ قال :

معراب قرية صغيرة في كسروان تتّصل بغوسطا من جهة الجنوب وببدلتا من الشمال وهي على جبل عالٍ مشرف على البحر يمتدّ منها النظر الى مسافة بعيدة طيبة الهواء بما يكتنفها من الغابات الكثيفة وفي وسطها رابية مستديرة الشكل تعلو عن سطح البحر نحو من ٨٤٠ مترًا . وعلى قمّة هذه الرابية المعروفة « بالقلعة او الحصن » آثار ابنية قديمة العهد بقي منها قسم اساس جهتَيها الشرقيّة والجنوبيّة . والى جانبَيها الشرقيّ والشماليّ ابنية متهدّمة متراكمة ممّا يدلّ على شرف هذا المكان في سالف العصور . وقلّما ورد لها ذكرٌ مع ذلك في كتب المؤرخين الّا عرضًا . قال الدويهيّ في تاريخ الطائفة المارونيّة (ص ١٢٥ – ١٢٦) في وقائع سنة ١٣٠٧ ما حرفهُ : « قيل ان جسر المعاملتين بناهُ سليمان بن عراب وهو الذي بنى حصن معراب شرقيّ غزير » . وروى مثل ذلك الامير حيدر في تاريخهِ (ص ٤٨١) وانّما دعا بانيهُ « سليمان بن معراب »

فمن هو هذا ابن عراب او ابن معراب ؟ وهل يتّفق عهده مع عهد هذه الابنية في القدم ؟ فانّ هناك من الآثار الرومانيّة وسواها ما لا ينطبق على هذه الرواية من حيث الزمان

وفوق قرية معراب في شرقيها على بعد عشرين دقيقة منها قرية اخرى صغيرة تدعى « قلعة معراب » لوجود بناء عظيم بقربها

وقد وصف حضرة الاب لامنس في كتابهِ تسريح الابصار في ما يحتوي لبنان من الآثار (١ : ٣٧ — ٣٨) هذه القلعة ويرجّح هناك انها اخربة معبد قديم اقامه الرومان على تلك المشارف . وموضوع بحثنا هنا ليس هذه القلعة البعيدة عن القرية بل الحصن الكائن في نفس معراب وراء الكنيسة القديمة شمالًا وهو الذي اشار اليهِ الدويهي

فبينما كان بعض الفعلة يشتغلون بحفر اساس بيت جديد شرع في بنائهِ حضرة الخوري باسيل على انقاض ذلك الحصن اذ عثروا على صحيفة مبتورة طولًا وعرضاً على جانبيها كتابة لاتينيَّة نثبت نصّها وفحواها قريباً . وكذلك سنذكر اهم المسكوكات النحاسيَّة التي وجدت هناك مع تمثال ثور صغير من البرونز قديم جدًّا وسنان سهم او حربة

وقد افادنا حضرتهُ انهُ قد عثر على رأس تمثال من الحجر الابيض المعروف بالجوّي والرأس مشوَّه الانف والحاجبين يبلغ علوُّهُ نحو ثلاثين سنتيمترًا وقطرهُ نحو العشرين . وعثر ايضاً على حجر من هذا النوع يبلغ علوهُ نحو ١٣٠ سنتيمترًا بعرض ٤٠ مربع الشكل على جوانبهِ الاربعة نقوش ورموز لم يُدرَك مغزاها . وقال ان بعض شيوخ قريتهِ اخبرهُ انهُ عندما شرع اهل القرية ببناء كنيستهم كانت جدران هذا الحصن لم تزل قائمة على علو نحو اربعة اذرع فنقلوا حجارته واقاموا بها كنيستهم . وعثروا على جثة صنم مقطوع الرأس وليس لهم اهمية في الآثار فنحتوا هذه الجثة وجعلوها عتبة لباب الهيكل

وهاك الآن وصف اخصّ للنقود القديمة التي عرضها علينا حضرة الاب مع شرح الكتابة المنقورة على جانبي الصفيحة

﴿النقود﴾ اقدم ما فيها من المسكوكات يرتقي الى عهد الرومان ما عدا نقدًا

واحدٌ كبيرًا من البرونز ضربهُ على اسم بطليموس الثالث المعروف باورغاتيس . في مدينة بطلمايس وهي عكة . ومعظم هذه النقود هي بيروتية ضُرب واحد منها في بيروت على عهد القيصر نرڤا (٩٦–٩٨م) . وبينها نقدٌ آخر عليهِ اسم القيصر تراجان (٩٧–١١٨م) ونقدٌ ثالث على زمن كراكلا (١٩٨–٢١٧ م) . ثمَّ نقد رابع ضرب في أيام الملك غورديانس الثالث (٢٣٨–٢٤٤) . وبين تلك المسكوكات ثلثة لمدينة صيداء عليها صورة القيصر هيارغابال الحمصيّ الاصل (٢١٨ – ٢٢٢) ثم نقدان الواحد للقيصر كومودس (١٧٥ – ١٩٢) والآخر لهليوغابال وهذان ضُربا في جبيل – واخيرًا مسكوك نحاسيّ لدومطيانوس قيصر (٨١ – ٩٦) ضُرب في انطاكية . فيستفاد من هذه النقود انّ المحلّ كان مأهولًا في أيام الرومان لكنّ شهادتها لا تكفي لبيان حضارة اهلها وخصبها

﴿ الصفيحة المدنيّة ﴾ يجب نظمُها في سلك الصفائح اللاتينيّة المعروفة بالاجازات العسكريّة . وكانت هذه الاجازة كصكٍّ رسميّ يُعطى لقدماء الجنود الذين كانوا خدموا في احدى الفرق العسكريّة مدّة ٢٥ سنة ينالون بموجبها حقوق المدنيّة الرومانيّة هم واولادهم . وكانوا يصدرون هذه الاجازة بموجب قرار من الامبراطور على صورة الشرائع فينقش نصّها على صفيحة من البرونز ثمّ يأتي اوّلًا في رومية على قمّة الكابيتول ثمّ على جبل پلاتان وراء هيكل اوغسطس . وكانوا يهدون منهُ نسخة للمنعَم عليهِ بهذا الامتياز وكان النصّ مرقومًا على صفيحتين من المعدن مثقوبتين بثقوب متوازية ينظمون فيها اسلاكًا تضمّها ضمًّا شديدًا بحيث تستحيل قراءة ما كُتب في داخلها وانّما النصّ يُقرأ فقط على احد الوجهين الخارجيّين . والوجه الآخر كان يتضمّن اسماء ستّة شهود على صحّة النسخة وامانتها . أما الوجهان الداخليّان فكانا ملتحمين بستّة ختوم من الشمع ومكتوب عليهما ما كان مرقومًا على الصفيحتين الخارجيّتين احترازًا من التزوير واثباتًا لصحة الاجازة

والقطعة الصغيرة من الاجازة العسكريّة التي وجدت في معراب قد كُتب على وجهَيها نصّ الحكم الامبراطوري الذي بموجبهِ تُمنح حقوق المدنيّة الرومانيّة لاحد قدماء الجنود الذي سقط اسمهُ ولم الفرقة التي كان منتظمًا فيها وانما ورد فيها كالمألوف العادة لائحة فيالق الفرسان والمشاة الذين نال جنودهما القدماء حقوق المدنيّة

الرومانيَّة . واذا قابلنا بين اجازة مراب واجازات أُخرى وُجدت في غير بلاد (١ يمكننا القول بأنَّ الجندي صاحب اجازة مراب كان من جنود فَيلق راسية Rhétie وباللاتينيَّة Rætia من اعمال بلاد بافارية وتيرول الممتدَّة الى نهر إنّ (Inn) . ودونك نصّ مراب في اصلهِ اللاتينيّ مع تدوين الالفاظ المختصرة والدلالة على المحذوف منها بقوسين ( ) امَّا الساقط منها فدللنا عليهِ بمعقَّفين [ ]:

Imp(erator) Cæs(ar), divi H(adriani) f(ilius), divi Trajani Parthici nep(os), divi Nervæ prone(pos), T(itus) Aelius H(adrianus) Antoninus Aug(ustus) Pius, pont(ifex) max[(imus), trib(unicia) potes(tate) ...

imp(erator) II, co(n)s(ul) I[II, p(ater) p(atriæ), equitib(us) et peditib(us) qui m[ilitaver(unt) in alis IIII quæ appellantur II Fl(avia miliaria) [et ....
et I Fl(avia) Gemell(iana) et Sing(ularium) c(ivium) r(omanorum) et coh(ortibus) XIII, I F(lavia) Canath(enorum)? (miliaria) Sag(ittariorum) et[Breucor(um) et I et II Ræt(orum) et II Aquit(anorum)
et III Bracaraug(ustanorum) et II Th(racum)] et III Th[rac(um)
c(ivium) r(omanorum) et III Britann(orum) et IIII [Gall(orum) et V Bracar] aug(ustanorum)
et VI Lusit(anorum) et VIIII Batav(orum) [et sunt in Raetia sub Vario Clemente proc(uratore), XXV [stipend(iis) [emer(itis) dimiss(is) honest(a)] missione, qu[orum nomina [subscripta sunt ...

واوَّل ما يستفاد من هذا الاثر لائحةٌ ما كان للرومان من الفيالق العسكريَّة في بلاد ريسية من السنة ١٥١ الى ١٦٠ للمسيح . ومنهُ ايضاً يتَّضح معنى ونسبة آثار اخرى مثله كالاجازة الرابعة والستّين في تاريخ سنة ١٥٣ التي وجدت في مدينة

(١ اطلب مجموع الكتابات اللاتينيَّة = Dipl. XXXV (XXIV) - CIL, III, 866 Dessau, 2002; Dipl.LXXIII,-CIL,III S,p 1991.

راتسبون (١ . فانّها منذ الآن يجب نسبتها الى فيلق ريسية بدلًا من فيلق النوريك (Noricum) والنوريك اقليم روماني يوافق اليوم بلاد غسة الحاليّة

ثم يمكننا ايضاً ان نستخلص من هذا الاثر ان اهل سوريّة الذين كانوا يكتتبون في الجنديّة الرومانيّة كانوا عند انتهاء مدّة خدمتهم البالغة ٢٥ سنة يعودون الى اوطانهم بكل رضًى . والجندي المذكور في صفيحة معراب كان منتظماً بلا شكّ في الفئة العسكريّة المدعوّة باسم فلافيا الاولى المجموعة في جهات قنوات بين البصرى ودمشق . واماّ سلاحُها الخاص فكان القوس والنشّاب (I Flavia Canathenorum miliaria Sagittariorum) ولا غرو فانّ اهل ثراقية واهل سوريّة كانوا افضل المحاربين بالقسيّ في العساكر الرومانية

وان سألت عن اعمال جندي معراب بعد ان اصاب حقوق الجنسيّة الرومانيّة ؟ اجبنا ان الرومانيين كانوا يمنحون الإقطاعات جنودهم القدماء في امكنة حصينة ليدافعوا عنها ويردّوا غارات الامم او العصابات العادية لدولتهم . وكان لبنان من جملة البلاد التي ناهضت زمناً السلطة الرومانيّة فاضطرّ القائد پومپيوس ان يحارب امراءُ كديونيسيوس الطرابلسيّ وسيلاس اليهودي ملك ليباس فلا يُستبعد ان الجندي المذكور في صفيحة معراب كان احد الجنود المستعمرين في تلك الانحاء لحفظ السلام والتصدّي لاهل الجبل عند محاولتهم غزو السواحل . ولعلّهُ ايضاً كان احد المتولّين نظارة الغابات اللبنانيّة حيث كان احتكر الامبراطور اربعة اجناس من اشجارها اي السرو والصنوبر والشربين والشوح لصلاحيّة خشبها للعمار . وقد وجدوا الى اليوم نحو مئة كتابة حجريّة للقياصرة ولاسيّما للقيصر ادريانوس تنبئ باحتفاظهم لهذه الاجناس . وممّا كانوا يختصّون بهِ اولئك الجنود القدماء اعمال النافعة كفتح الطرقات كما تدلّ على ذلك كتابات أُخرى كانت تنصب على اطرافها . هذا ما باشرهُ من العمل على رأينا جندي معراب عند رجوعهِ الى وطنهِ ولا نظنّهُ انهُ عمد الى الراحة والبطالة والله اعلم

(١ اطلب مجموع الكتابات اللاتينيّة - Le diplôme de Ma'râb-CIL, III S,p. 1988 qui semble fixer l'attribution à l'armée de Rhétie du diplôme LXIV, sera publié dans les *Mélanges de l'Université S^t Joseph*

المراكب الهوائيَّة الاولى في باريس

لشاهد عياني الكونت لويس فيليب دي سيغور سنة ١٧٨٤

توطئة

الكونت لويس فيليب دي سيغور سليل أسرة شريفة اشتهر منها كثيرون في خدمة ملوك فرنسة في القرن الثامن عشر ثمَّ في خدمة دولتهم على عهد نابوليون الاوَّل والملوك خلفائهِ الى اواسط القرن التاسع عشر. فمنهم كماة الحرب ومنهم السياسيون ومنهم الكتبة. وقد اشتهر في ذلك الكونت لويس فيليب دي سيغور المولود سنة ١٧٥٣ والمتوفى في ٢٧ آب ١٨٣٠ . وهو جدّ السيّد الجليل والكاتب البليغ المنسيور دي سيغور الشهير بتآليفهِ الدينيَّة وحياتهِ المقدَّسة. وللكونت المومأ اليهِ مصنَّفات جليلة اهلَّتهُ للانتظام في سلك الاكادمية الفرنسويَّة من جملتها كتابُ مذكراتهِ ونوادرهِ عن ملك لويس السادس عشر (Souvenirs et Anecdotes sur le règne de Louis XVI) ألَّفهُ سنة ١٨٢٤ واودعهُ كثيرًا ممَّا عاينهُ في ذلك العهد في كل المناصب التي تقلَّب فيها والبلاد التي تنقَّل اليها فتجد من القصص الظريفة والنكت اللطيفة ما يسرّ الخاطر ويبهج الناظر. ومما وقفنا عليهِ هناك فصلٌ حسن عن اوَّل مركبة هوائيَّة شاهدها اهل باريس مرتفعةً فوق المدينة وحاملةً لراكبَيْها الاخوين الشقيقين شرل وروبر منغلفيار (Mongolfier) وذلك سنة ١٧٨٤ . فاحببنا نقلهُ الى العربيَّة تفكيهًا للقرَّاء ليروا مبادئ ذلك الفنّ العجيب الذي بلغ اليوم اوج عزّهِ بعد ان قطع اشواطًا بعيدة في اطوار حياتهِ الهوائيَّة

ل . ش

بينما كنتُ في باريس بعد رجوعي من اميركة سنة ١٧٨٤ اذ حرَّك فينا الصانعيُّ مونغولفيار الاملَ الباطل بالتقرُّب الى النجوم . فان هذا الرجل كان استحقَّ الشهرة اوَّلًا باختراعهِ طريقةً لإعداد الرقوق من جلد العجول (papier vélin) ثمَّ خلَّد اسم مسقط رأسهِ انوناي(Annonay)ثم فرنسة وطنهِ ولسم عائلتهِ باكتشافهِ المراكب الهوائيَّة والمناطيد

وقد اصابت انوناي في عصرنا هذا شرفًا مضاعفًا بمولد اثنين من اهلها منغولفيار ثم ذاك الوطنيّ العظيم الشريف بواسيّ دانغلاس (Boissy d'Anglas) الذي انار عصرهُ بجملة فضائل سامية في وسط الرذائل المحيطة بهِ واظهر شهامةً غريبة في ايَّام الاهوال وصان حقوق الادب مع السياسة ومزج خطبهُ في مجلس الدولة بنزاهة غريبة

وشنّف آذان معاصريهِ بشعرهِ الرنّان وثبت على صداقتهِ على عكس ما جرى غيره في تقلّبهم مع احوال الزمان

أمّا وقوف منتولفيار على سرّ طيران المراكب الهوائيّة فكان نصفهُ من الصدفة شأن كلّ الاكتشافات العظيمة التي يرقى قسمٌ منها الى الصدفة والقسم الآخر الى القريحة . كان منتولفيار في احد أيام السنة ١٧٨٣ يشتغل في معمل ورقهِ فاخذ ابريق قهوة ليغلي فيهِ ماء فجعل عليهِ غطاء من الورق محدَّباً على شبه الكرة . فما كان من امرهِ الّا انهُ انتفخ ثم صعد في الهواء . فتعجَّب مونتولفيار وأعاد الامتحان فحملهُ نظر تلك الكرة المرتفعة الى الجوّ الى البحث عن سبب ذلك فما لبث ان تحقّق وجود غازِ الهواء المتخلّل الذي هو اخفّ من الهواء الجوّي . وباكتشافهِ هذا السرّ كان ايضاً اكتشاف المناطيد وفنّ الطيران وفتح مملكة الهواء لنشاط البشر

واوّل ما امتحنهُ مونتولفيار تسديد الهواء وتخلّلهِ بحرارة النار وبخارها كأنهم اشاروا بذلك الى بطلان المجد المنتظر من ذاك الاكتشاف الشبيه بالدخان كغيره من الاكتشافات القليلة الجدوى . لكنّهم عدلوا بعد ذلك عن النار الى استعمال الغاز فنجح الاختبار واناطوا بالمركبة الهوائيّة سفينة صغيرة تصاعدت معها ورأى العموم باندهاش رجالًا يرتفعون الى الهواء

امّا اليوم (يريد سنة ١٨٢٤) فقد اصبح مشهد المراكب الجوّية ملهاةً شائعة في مواسمنا واعيادنا كالنيران الصناعيّة التي توقد ليلًا . لكنّي لن انسى ما نسيتُ التأثير الشديد والعميق الذي اثَّر فيَّ وفي جميع اهل باريس ذاك التعليقُ الاوّل الذي باشرهُ وسط حدائق قصر التويلري (Tuileries) الاخوان شرل وروبير صاعدين على جناح الريح الى القبّة الزرقاء

وكان بلغ الملك لويس السادس عشر ما قصدهُ الاخوان من العمل الخطير فنسبهُ الى التهوُّر ولرقّة قلبهِ الحنون تخوّف عليهما الموت . ومن ثمَّ بينما كانت عيون جميع الحاضرين شاخصة اليهما على العجب ممّا حاولاهُ من الكفاح مع الرياح في سفينة صغرى في وسط الفضاء متعرّضين لضروب الاخطار المجهولة اذ ورد عليهما امرٌ من الوزير ينهاهما عن سفرهما الجوّي . لكنّ شهامة ذينك الرجلين وانتظار الشعب بفروغ الصبر بعد ان دُعي ليتمتّع بذاك المشهد الغريب نتيجة عقول نابغة غلبا على كلّ

الاوامر [illegible]كيَّة فقطع الاخوان حبال مركبتها الكرويَّة الشكل واذا بها اخذت تتصاعد بكل عظمة الى [illegible]ن الفضاء. فرأينا راكبيها يقطعان بربابطة الجأش طرق السماء

لا مراء انهُ لو كان حصل مثل هذا المرأى في احد الاجيال السابقة لظنَّ الناس انَّ هذا من افعال الآلهة والارواح العلويَّة. وقد بعث فيَّ هذا المنظر قوَّةً غريبة كانت تسهّل في عيني كلَّ مآثر الابطال

فشعرتُ باهتزازٍ في كلّ وجداني لم يسعني تحميدهُ وانطلق لساني بما شحذ قريحتي فانشدت بديهاً ابياتاً بهذا المعنى :

حبَّذا الأخوانِ شرلُ ورُوبرٌ	اذ حاولا رقيّاً من الغبراء
ركبا خطراً ولم تردعهما	بلوى سقوطٍ من عالٍ فضاء
صعدا الى فلكِ السماء بجرأة	يتبختران على جناح هواء
يا ليت شعري كيف يطيعُ الأنا	مُ جزاء تلك الأثرة السَّراء
فكفاهما بهذا الملا خالداً	ان شاطرا الارواح مُلكَ سماء

فبعد هذا الانتصار الباهر على قوَّات الطبيعة بدافع العقل البشري اهتزَّ الناس طرباً واحسُّوا بما للانسان من العزّ والقدرة وما استبعدوا نسبة اعظم العجائب للقوى البشريَّة كأنَّ طبيعة الآدميين لا تقوى على ضبطها الحدود

وكان البعض يتهوَّسون فيؤكدون انهُ ثبت اكتشاف توجيه المراكب الجويَّة وانهُ عمّا قليل ستسير في الجوّ اساطيل منها فيسهل الهجوم على انكلترة. واخذت بعض النادة من النساء يُوجسن فزعاً لئلا يهبط عليهنَّ في حدائق المدينة بعض الطيارين من المغاربة فيسبونهنَّ الى بلادهم. وطرب فرحاً الذين يتعاطون تهريب البضائع اذ لن يستطيع عمّال الدواوين ان يوقفوهم اذا حلّقوا في الجوّ وبالعكس صار ارباب الجمارك يخافون من فقدان وظائفهم

وممّا كان ينعش الآمال بصعود المراكب الجويَّة الى الفضاء الخدمُ المديدة المنتظرة منها في وقت الحرب اذ ترتفع فوق الحصون. على انَّ الدولة الفرنسويَّة لم تلتجئ اليها الّا في موقعة فلوروس (Fleurus) التي جرت سنة ١٧٩٤ بين الجنرال جوردان والجيوش النمساويَّة وانَّما اتخذوها فقط لمراقبة قوَّات العدوّ ورصد حركاته. والعلماء يظنُّون انهُ مستحيل توجيه المراكب الهوائيَّة مع هبوب الرياح الجويَّة .

ولكن مَن يعلم ما يحدث في المستقبل ؟

هذا ما اخبرهُ الكونت دي سيفور وكان الشاهد العياني لاوَّل مركبة هوائيَّة حلَّقت في الجوّ وروايتهُ حريَّة بالذكر اذ يفيدنا ما شمل الناس من الفرح باكتشاف فنّ الطيران وحدسهم بما سينتج منهُ من المنافع . فلو عاد اليوم الى الحياة اهل ذلك العصر ورأوا ما جرى في الحرب الاخيرة ويجري كل يوم على يد الطيَّارين من الاعمال العجيبة والفوائد الجمَّة لأخذ الاندهاش منهم كل مأخذ ولعرف الكونت دي سيفور صحَّة كلمته الاخيرة : «ولكن من يعلم ما سيحدث في المستقبل » فكأنهُ تنبَّأ سلفاً عمَّا نعاين اليوم من غرائب الطيران

مطبوعات شرقية جديدة

Mermeix: Les Négociations Secrètes et les Armistices, avec Pièces justificatives. *Paris, Librairie Ollendorf*, in-12,1919, *pp*.365. *Prix* 8^fr

المفاوضات الدوليَّة السرّيَّة والاربع المهادنات

انَّ انكشاف الغيوم عن سياسة الدول المركزيَّة قد سمح لمؤلف هذا الكتاب بان يميط الستار عن احوال المانية وحليفاتها في أيام الحرب فبيَّن استادًا الى الاوراق الرسميَّة والسرّيَّة معاً التي وقف عليها ان المانية بعد فشل جيوشها الاوَّل عند نهر المارن وعجزهم عن فتح باريس احسَّت بان آمالها بالانتصار النهائي قد حبطت وشرعت مذ ذاك الحين تسعى بوسائط سرّيَّة الى عقد الصلح مع الدول الاتفاقيَّة على شرط أن تبقى الاحوال على ما كانت قبل الحرب دون فقدان شيء من املاكها ودون غرامة حربيَّة . فمن يطالع هذا الكتاب يقف على دسائس الدولة الالمانيَّة العجيبة لادراك غايتها السرّيَّة . فبينا كانت تصرخ علانيةً أنها هي الظافرة ولها الكلمة الفاصلة كانت ترسل سرًّا مفوَّضيها ومعتمديها الى الدول المتحايدة كاميركة وسويسرة ثمَّ الى بعض وجوه الدول المعادية وتصرف المبالغ في تفويضهم لعقد المهادنات والمفاوضات للصلح . الَّا انَّ كلَّ مساعيها آلت الى خذلانها رغماً عن تحريكها للفتن

والمشاغب بواسطة الاشتراكيين ولاسيّما من ايقادها نيران الثورة في روسيّة . فنثني على واضع هذا الكتاب واثباته الحقائق التاريخيّة التي زوّرها اصحاب الغايات

Gabriel Chavet : Ce que doit savoir l'employé de bureau. *Paris. Gauthier-Villars*, 1921, *in-12, pp.* 255

ما الواجب ان يعرفهُ كاتب المخازن

هذا كتاب نوصي بهِ كلّ شبّان بيروت وسوريّة الذين يباشرون الاشغال العموميّة في المخازن بصفة كتبة وعمّال. فانَّ صاحبهُ في خمسة عشر فصلًا ممتعًا جمع كلّ ما يحتاج اليهِ الكاتب من المعلومات ليزين نفسهُ بالاخلاق الراضية ويُعنى في شغلهِ بحفظ قواعد جديّة ثمّ يوقفهُ على ما يفيدهُ من المعارف والعلوم كمعرفة اللغات الاجنبيّة والآداب الكتابيّة وتدبير الادارة الخاصّة باشغالهِ وكلّ ما ينوط بها من المعاملات المختلفة والمكاتبات والمحاسبات مع درس الطرق المسهّلة لاشغالهِ كالكتابة الصناعيّة والطبع على الجلاتين والمفاوضات مع البعيدين بالتليفون والتلغراف واشياء اخرى كثيرة لا يجدها العامل الّا في هذا الكتاب الذي يجب ان يكون كدستورهِ اليومي في كافّة معاملاتهِ يقلّبهُ صباح مساء ليتمّ كلّ اشغال مهنتهِ ويا ليت احدًا من ذوي الهمّة يُعنى بتعريبهِ

ل. ش

Abou Jousof Ya'koub : Le livre de l'Impôt Foncier, traduit et annoté par **F. Fagnan**. *Paris*, 1921, *in-12. pp* 352, *P. Geuthner*, *Prix* 40fr

كتاب الخراج لابي يوسف يعقوب

القاضي ابو يوسف يعقوب الكوفي هو صاحب ابي حنيفة احد ائمّة المذاهب الاسلاميّة الاربعة كان لهُ التقدّم في الفقه الاسلامي فتولّى القضاء في بغداد على عهد الخلفاء العبّاسيين المهدي وابنَيه الهادي وهارون الرشيد وهو اوّل من دُعي بقاضي القضاة واتّخذ ملبوسًا خاصًا لذوي منصبهِ توفّي في بغداد سنة ١٨٢ ﻫ (٧٩٥ م) . وقد ألّف كتبًا جمّة اتاح بها الدهر الّا الكتاب الذي نحن بصددهِ المعروف بكتاب الخراج ضمّنهُ اماليهُ على ما عرضهُ عليهِ الخليفة هارون الرشيد من المشاكل فطُبع بالقاهرة ومنهُ نسخ خطّيّة متعدّدة في مكاتب اوربّة ومصر . فعهدت المفوضيّة العليا في سوريّة ولبنان مع ادارة العاديّات والفنون الى احد كبار الاختصاصيين في علم الفقه المستشرق الفاضل المسيو فنيان بان ينقل هذا الكتاب الفريد الى الافرنسيّة

تسهيلًا لدارسي الفقه الاسلامي الحنفيّ. فقام بهذا الامر احسن قيام ونشر الكتاب في السنة الحاليّة وذيّلهُ بالحواشي والملحوظات العديدة التي تدلُّ على سعة علمهِ بهذا الفنّ وتضاعف قيمة الكتاب. فنحضّ كلَّ طلبة الفقه والحقوق على اقتنائهِ ومراجعتهِ. وقد عُني المسيو غوتنر صاحب المكتبة الشرقيّة في باريس بطبعهِ فاحسن واجاد.

I THE INSTITUTE OF INTERNATIONAL EDUCATION, Guide Book for Foreign Students in the United States = II EDUCATIONAL GUIDE FOR SYRIAN STUDENTS IN THE UNITED STATES, by Philip K. Hitti, Ph, D. *New York*, 1921, *in*-12, *pp.* 97 *et* 67

مكتب التهذيب الدولي – دليل تهذيبيّ للطلبة السوريين في الولايات المتحدة

اهدانا جناب الاستاذ فيليب حتّي معلم التاريخ في الجامعة الاميركانيّة في الثغر هذين الكتابين وأحدهما من قلمهِ وكلاهما قد وُضع لارشاد الطلبة الاجانب عموماً والسوريين خصوصاً لاسيَّما المهاجرين الى اميركة فيفيدانهم عن كلّ ما يختصّ بالمدارس البدائيّة والثانويّة والعلوم العليا في الولايات المتّحدة وحواضرها المختلفة. وهناك وصفٌ مدقّق لتاريخ تلك المدارس وطرائقها العلميّة وطبقاتها المتتالية والمقابلة بينها وبين المنشاءات التهذيبيّة الجارية في اوربّة. ثمّ بيان واسع لتعريف الدخول فيها واسباب المعاش للمنتمين اليها وما لديهم من الوسائط لترقية عقولهم من نوادٍ ادبيّة ومكاتب سواء كانت للذكور ام للاناث الى غير ذلك. فلا شكّ انّ الطلبة الاجانب الذين بلغ عددهم اليوم في المدارس الاميركيّة نيّفاً وعشرة آلاف—وهو يزداد كلّ يوم—يجدون في هذين التأليفين المعلومات الوافية ليستفيدوا من التهذيب الاميركيّ الشائع الفضل

ل . ش

ALMA MATER: COLLEGIUM URBANUM DE PROPAGANDA FIDE, *Pasqua M CMXXI*, *in*-4. *pp.* 188

مدرسة مجمع انتشار الايمان الكبرى في رومية

هذه المدرسة المنشأة منذ ثلثمائة سنة قد ادّت للعالم الكاثوليكي خدماً لا يفي بها احصاء. ففيها تخرّج الوف من الشبّان من كلّ الاصقاع عادوا الى اوطانهم فانارو مواطنيهم بأنوار الايمان الساطعة فنهم البطاركة والاساقفة والكهنة والرهبان طالما عرف شرقنا العزيز فضلهم واستفاد من مساعيهم ، وقد وقفنا على لائحتهم السنويّة

خيرة فوجدناها مفعمة من الفوائد الخاصّة بانشاء هذه المدرسة واساتذتها وطلبتها البالغ عددهم نحو ١٥٠ . وفي هذه المجموعة اخبار المدرسة ووقائعها السنويّة ثم عدة مقالات ورسائل منوطة بامورها او بتلامذتها مع متفرّقات دينيّة وتاريخيّة وادبيّة شتّى وتراجم بعض المتنجعين مصدّرة بصورهم . فسُررنا بمطالعة هذه الطرفة الجميلة وتمنّينا للمدرسة الاوربانيّة كلّ نجاح تحت نظارة قداسة الحبر الروماني ومديريها الافاضل

Mons. Carlo Salotti : VITA E MARTIRIO DEL BEATO OLIVIERO PLUNKET Arcivescovo di Armagh e Primate d'Irlanda. *Roma*, 1920, *in*-12, *pp.* 274,

ترجمة حياة واستشهاد الطوباوي اوليفيار بلونكت

في العام الماضي اعلن الكرسيّ الرسولي قداسة كبير اساقفة ارلندة الطيب الذكر والشهيد العظيم اوليفار بلونكت الذي حكم عليهِ الانكليز البروتستانت بالموت لاجل دينهِ الكاثوليكي في ١٠ حزيران سنة ١٦٨١ فودّع الحياة ببهجةٍ في سبيل ايمانهِ كتوما مورس كنشليار هنريكوس الثامن والكردينال جان فيشر . وكان هذا الشهيد الباسل تخرّج في رومية وبرّز بين الطلبة رصفائهِ فندبهُ الكرسيّ الرسولي لهمّةٍ مشفوعة بالاخطار في وطنهِ ليسند الكاثوليك في الاضطهادات التي يكابدونها في ارلندة فاجاب ملبّياً دعوة رؤسائهِ ولم يجهل انهُ يمشي الى الموت . وهكذا كان لكنّهُ بموتهِ كان اكبر منهُ بحياتهِ . وهذا ما عزم ان يبيّنهُ صاحب سيرتهِ واستشهادهِ المنسنيور كرلو سالوتي فاستقرى اعمال حياتهِ البارّة ووصف فضائلهُ السامية في اطوارها ولاسيَّما في حبسهِ وموتهِ في لندرة في ساحة تيبورن وختم ذلك بما نالهُ من المجد بعد موتهِ في وطنهِ الى ان نظم الحبر الاعظم بندكتوس الخامس عشر اسمهُ في سلك اولياء الله في ٢٣ أيار سنة ١٩٢٠ وبذلك تخلّد ذكرهُ ووُسم مضطهدوه بسمة العار كما يستحقّ الظالمون

ل . ش

Abbé Malinjoud: CATÉCHISME DES TOUT PETITS. Préparation dogmatique et morale à la 1re Communion. *Paris, Lecoffre et Gabalda*, 1909. *in*-12, *pp.* 467

التعليم المسيحيّ وشرحهُ لاحداث الناشئة

كثيراً ما يرى الكهنة ومفسّرو التعليم المسيحيّ صعوبةً في تلقين العقائد والحقائق

الدينيَّة للاحداث في اوَّل بلوغهم سنّ الرشاد وربَّما اعتاص عليهم ان يفرغوا في عقولهم ما يدركونهُ هم بكل وضوح. فها هوذا كتابٌ يعينهم على ذلك بما اودعهُ مؤلفهُ — وهو الكاهن الفاضل قانوني كاتدرائيَّة نوتردام في باريس وشقيق الكومندان مانجو الذي في طرفنا حاضرًا — من التفاسير القريبة المنال المفرغة في قالب السذاجة. والايضاح مع ما اضاف اليها من التشابيه المنطبقة على فهم الاولاد والامثال المنتزعة من عيشتهم اليوميَّة بحيث يستطيع الصغار ان يدركوا اسرار الديانة وتعاليمها السامية. ولعلّ الذين يتلون هذا الكتاب يندهلون من تصوُّراتهِ وايضاحاتهِ الساذجة الصبيانيَّة مع قلَّة تدقيقهِ في بعض الشروح فكلّ ذلك قد اتى بهِ عمدًا لبلوغ غايتهِ من ترسيخ العقائد الدينيَّة في قلوب الصغار. امَّا الشرقيُّون فان وجدوا في الكتاب ما هو أجدر باحداث اوربَّة منهُ بصغار بلادنا فيسهل عليهم ان يستبدلوا ذلك بما ينطبق على مدارك ابناء الوطن

الاب يوسف موتجان

في سبيل لبنان

تأليف يوسف افندي السودا

طُبع في الاسكندريَّة سنة ١٩١٩ (ص ٥٠٠)

مؤلف هذا الكتاب قد وقف نفسهُ منذ عدَّة سنين على خلاص وطنهِ من ايدي الظالمين فجاءت الاحوال موافقةً لرغائبهِ بكسر الحلفاء لشوكة الاتراك. وكذلك اتَّسعت حدود لبنان بما ضُمَّ اليهِ من السواحل وسهول البقاع كما كان يتمنَّاهُ مع الاستقلال النوعي تحت انتداب الدولة الفرنساويَّة صديقة لبنان. لكنَّهُ في كتابهِ هذا «في سبيل لبنان» يطلب ما فوق ذلك اعني الاستقلال التامّ ليصبح لبنان جمهوريَّةً او مملكةً دستوريَّةً كسويسرة وبلجكة وهولندة تُنظِم شؤونها وتقوم بامورها بذاتها دون تداخل دولةٍ كبيرة في احوالها حتَّى فرنسة صديقة اللبنانيين اللهمَّ الَّا الدافعة عن استقلالهم وتسليفها المال لاصلاح امورهم الاقتصاديَّة وهذه لعمري أحلامٌ لا تصحُّ للبنان في الحاضر بل لا يرغب عاقل في صحَّتها وكلّنا يعلم ما هو عليهِ الجبل من الانقسام وتفرُّق الكلمة دينًا وسياسةً واقتصادًا فلو جُعل الجبلُ على غاربنا

تثبت علينا الفوضى وأكل بعضنا بعضاً. هذا رأينا في تخيّلات المؤلف . ونحن نقرّ بفضلهِ لما اودعهُ في كتابهِ من المعلومات والآثار عن وصف لبنان وخواصهِ وتاريخهِ وسياستهِ القديمة وان كنّا لم نسلّم بما ورد هناك عن المَرَدة ومبادئ الطائفة المارونيّة لمخالفة مرويّاتهِ كافّة المؤرخين القدماء . فان كان افلاطون صديقاً فالحقُّ اصدق

كتاب التعليم الرهباني

تأليف القسّ يواكيم بلاديوس اللبناني

عني بنشرهِ وتنقيحهِ القس طانيوس شبلي اللبناني (مطبعة حريصا ١٩٢١ ص ٢٧٢ × ١٧٢)

القس يواكيم بلاديوس من اسرة بليط الارمنيّة الحلبيّة كان معاصراً لوطنيهِ الطيّب الذكر السيد جرمانوس فرحات فترهّب في الرهبانيّة المارونيّة اللبنانيّة وأُرسل الى رومية حيث درس في مدرسة مجمع انتشار الايمان فبرع في علومهِ وعاد الى لبنان فخدم رهبانيّتهُ وطائفتهُ الكريمة خدماً عديدة منها عدّة تآليف سنفصلها ان شاء الله في فرصة اخرى. وقد طُبع من كتبهِ كتاب المرشد الامين للرؤساء والمرؤوسين بهمّة حضرة الخوري ميخائيل غبريل. وكتابهُ هذا التعليم الرهباني من اجلّ الكتب وانفعها للرهبان بل لعموم الاكليروس قسمهُ الى ٣٩ فصلًا جعل الفصول على طريقة السؤال والجواب تسهيلًا لادراك معانيها وتقريباً لفوائدها . وقد ادخل في تلك الفصول كثيراً من تعاليم اللاهوت الادبيّ فزادهُ نفعاً لولا ان بعض الاجوبة تحتاج الى زيادة ايضاح لئلّا يُسيء الراهب معناها لقصرها كبعض ما ورد هناك عن النذور والتأديبات والفرائض الرهبانيّة وغير ذلك. وفي آخر الكتاب سبعة تأمّلات روحيّة في الطريقة الرهبانيّة لسبعة أيام الاسبوع. فنشكر حضرة القس طانيوس شبلي على نشرهِ هذه الدرّة الثمينة مع ما قدّمهُ علينا من الافادات الحسنة ونتمنّى لكتابهِ كلّ رواج لاسيما في الاديرة الرهبانيّة ل. ش

ابتسامات ودموع او الحب الالماني

من مذكرات ف . مكس مولّر نُقلت الى العربيّة بقلم «مي»

الطبعة الثانية . بمصر سنة ١٩٢١ (ص ١٦٦)

عُرف في القرن السابق فردريك مكس مولّر بين علماء المانية وانكلترة

كستشرق ولغوي وباحث في اصول اللغات . وقد وقفت لهُ الاديبة « مي » وطنيّتنا على كتاب صنّفهُ في ريعان شبابهِ دعاهُ بالحبّ الالمانيّ وروى فيهِ شواعرَ قلبهِ في اول سنهِ ثمَّ في مقتبل عمرهِ وحوَّر في ذلك مذكّراتهِ اخرجها على صورة شعريّة . فنقلتها الآنسة « مي » مرّةً أولى ونشرتها تحت عنوان « الحب الالماني » وقد عادت اليوم الى تكرار طبعها فوسمتها « بابتسامات ودموع » ونقّحتها فزادتها حسناً في اعين من تجذبهم ابتسامات ودموع المحبّين . امّا نحن فلم يهمّنا منها سوى خواطرها الفلسفيّة التي وجدنا فيها الغثّ والسمين . وانّما نثني على مقدرة المعرّبة وطلاوة انشائها وكنّا طالعنا قبل ذلك مقالتها الحديثة « فضل الآداب » في المقتطف فاستحسنّاها

ردّ الشارد الى طريق القواعد

بقلم جرجي افندي شاهين عطيّة

في مطبعة القديس جاورجيوس في بيروت سنة ١٩٢١ (ص ٦٠)

بيننا قومٌ — والحمد لله — يغيرون على فصاحة لغتنا العزيزة وبلاغتها فينشرون في ذلك فصولًا حسنة يصلحون فيها ما يعثرون عليهِ في الجرائد والصحف من الاغلاط وينبّهون عليها الادباء . فمن جملة هؤلاء المصلحين الكاتب جرجي افندي عطيّة فانهُ كان نشر في جريدتهِ المراقب لسنتها الرابعة بعض الملاحظات المتعلّقة بمخالفة القواعد العربيّة فرغب اليهِ فريق من الاخوان ومحبّي الادب واللغة ان يجمعها في كرّاس منفرد . فاجاب الى ملتمسهم وقد اهدانا من مجموعتهِ نسخةً فرأيناهُ غالباً مصيباً في اصلاحهِ وتمنّينا لو خرج الى حيز الوجود فكر الطالبين انشاء لجنةٍ رسميّةٍ في بيروت او في دمشق الشام تحت نظارة ادارة المعارف يهتمّ اعضاؤها بامور اللغة من وضع الفاظ جديدة وتعريب غيرها والغاء بعض الدخيل واصلاح الاغلاط الواردة في الكتب والجرائد وربّما يوضع لذلك معجم رسمي كمعجم الاكادمية الفرنسويّة يرجع اليهِ كلّ الادباء . . حقّق الله الآمال !

ل . ش

التعبئة في لعب الشطرنج

بقلم جبرائيل نصره المهندس

القسم الثاني (ص ١٤١ — ٢٦٠) طُبع في مصر سنة ١٩٢٠

اثنينا على هذا التأليف لمّا اتحفنا صاحبهُ بقسمهِ الاوّل (راجع الصفحة ٢٣٧) وها

هوذا القسم الثاني منهُ وبِتمّتهُ وهو يشبه الاول في كلّ محاسنهِ مادّةً وصورةً فوجدنا في مصنّفهِ ما عُرف بهِ لاعبو الشطرنج المبرّزون من دقّة الفكر وبُعد النظر ورزانة الطباع كفى عليهِ دليلًا ما عرضهُ من اسرار هذا اللعب وكشفهِ لما (راجع المقالة التي نشرناها في هذا العدد عن الشطرنج لجناب جرجي بك صفا) ل·ش

شذرات

﴿ذكرى أليمة﴾ في غرّة آذار من السنة ١٩٠٨ صدرت مجلة الشرق عددها بالتهاني لأسقف بيروت الجديد وحيّتهُ بقصيدة رنّانة تحت عنوان الاسقف الصالح وتفاءلت باسمهِ الكريم فتمنّت لهُ ثباتَ الصخرة البطرسيّة بين الانواء العاصفة ومهابة الاشبال فتحقّق فيهِ كلاهما حيث لم تهدّ ركنهُ الانواء ولم يُطق الاتراك استماع زئيرهِ فأبعدوهُ عن عرينهِ فمات لكنّهُ أضحى بعد موتهِ ازأر منهُ في حياتهِ. وكفى بحفلة نقل رفاتهِ الكريمة دليلًا على قوّة صوتهِ فانّ جثّتهُ الطاهرة من مدفنها في آطنة الى قبرها في كنيسة بيروت الكاتدرائيّة اصبحت موضوع اكرام وتعظيم لم يرَ مثلها الملوك والعظماء. فكانت الجماهير تخرج لاستقبالها ليلًا الى المحطّات من مرسين الى آطنة بالشموع والمشاعل وكلّ مجالي الحداد الى ان أقلّتها الجياد السود المطهمة الى الدارعة المعدّة لنقلها. امّا الحفلة التي جرت في بيروت كانت اشبه بدخول ظافر الى عاصمتهِ بعد انتصارهِ على اعداء دولتهِ. وقد سبق حضرة الخوري الفضال رافائيل البستاني فأهداهُ هذه الذكرى التي تردّد فيها بين الاسف على فقدان ذاك الراعي الجليل والفرح بالانتصار المعدّ لهُ في مركز ابرشيّتهِ بين ابنائهِ الاعزّاء. قال:

بيروتُ قد أوهى قوايَ تحيُّري ... أأقولُ صبّي أدمعًا ام أبشري
فأقلُّ ما تُبدينهُ ذرْفُ الدما ... من مقلتَيكِ وإن تُسرّي تُعذَري
للحزن نيرانٌ تُؤجّجُ في الحشى ... والمجدُ يبسم ثغرُهُ فتحيّري

*

وَلَجَ العرينةَ غِيلةً غِرٌ وقد ... هالَهُ هيبةُ شِبْلِ ليثٍ مُخْدِرِ
خارت عزائمُهُ فأدبرَ مُحجماً ... فثناهُ طبعٌ هاتفٌ عُدْ فاغدُرِ
فأستنجدَ الطبعُ اللئيم ثعالباً ... فأتت تُلبيهِ لذاكَ المُنكَرِ
نصبوا المكايدَ خِسّةً ودناءةً ... كي يفتكوا غدراً بذاك القسورِ
فمضى الغضنفرُ نحو منفاهُ وما ... فَتِئت شهامتُهُ بخصمٍ تزدري
فطوى القِفارَ الشاسعاتِ وطرفُهُ ... يرنو للبنانٍ بعلِّ تحسُّرِ
لبنانُ موطنُهُ ولبنانٌ بهِ ... يعتزُّ مفتخراً بأعظمِ مفخرِ
فلكَمْ سعى في مجد لبنانٍ وكم ... دفَعَتْهُ همّتهُ لقطعِ الأبحُرِ
ما نجتنيهِ من جليل محاسنٍ ... هو من جنى غرسِ الفقيدِ المُثمرِ
خاضَ المجامعَ والمسامعَ ذكرُهُ ... متعطِراً كعبيرِ مسكٍ أذفرِ
فلذكرهِ يفترُّ ثغرُ بلاغةٍ ... ويبشُّ علمٌ عن محيّاً مُسفِرِ
حبرٌ طوى ايامَهُ متحرّياً ... علماً يُفيد وفوق متنِ المِنبرِ
فسما بمعرفةٍ الى أوجِ العُلى ... فرنا الى جمٍّ بنظرةِ مُزدرِ
وبعادُهُ عن موطنٍ أوهى القوى ... والظلمُ أثّرَ فيه كل تأثُّرِ
فدعاهُ مولاهُ فلبّى دعوةً ... لينالَ اجرَ الطاهرِ المُتبرّرِ
فقضى ولبنانُ الذُّ حديثهِ ... وبهِ وعن تذكارهِ لم يَفتُرِ
هل من عجائبِ ان تحنَّ بقيّةٌ ... منه للبنانَ البهيِّ المنظرِ
يأبى رُفاتُ الحِبرِ تُربةَ غربةٍ ... فحنينُهُ للموطنِ المتحيّرِ
أبناءُ خواتِ العظم حبُّ بلادنا ... يبقى فذاك من العُجاب الاكبرِ

*

أهلاً برمزِ المجد أهلاً مرحباً ... شقّي الزواخرَ يا دوارعُ وآمخري
لبنانُ شقَّ الصدرَ مثوًى للذي ... هو كنزُ مجدكَ فاحتفظْهُ وافخرِ
واذرفْ من العينينِ دمعاً قانياً ... واجمع أزاهرَكَ الذكيّةَ وآنثرِ

﴿ وفاة تلميذين فاضلين ﴾ أفجعتنا المنون بوفاة تلميذين عزيزين من الطائفة المارونيّة استأثر الله بهما الواحد في الغربة والآخر في الوطن . فامّا (الاوّل) فهو

الدكتور سمعان مسابكي خرّيج كلّيتنا منذ نعومة اظفاره الى نهاية دروسه الطبّيّة في مكتبنا الطبّي الفرنساوي مرفقاه مدّة نحو اربعين سنة ولقيتنا فيه حيثما حلّ او رحل في بيروت وحمص والاسكندريّة مثال الجدّ والنشاط والتمسّك بعرى الدين والتفاني في خدمة القريب ولاسيّما الرحمة على المبؤوسين في المستشفيات والمآوى والياتم ودور الفقراء . وقد قدّرت فرنسة خدماته الجلّى لجنودها المرضى والجرحى فاهدته وسام جوقة الشرف. وها قد اولاه الله بوسام اشرف واجلّ اذ دعاه الى دار سعادته ليجازيهُ على كلّ اعمال رحمته . وما احسّ بداء الخناق الذي فاجأه في صباح اليوم ١٨ من [illegible] المنصرم حتّى عرف قرب رحيله الى الابديّة فطلب كاهناً واستعدّ لملاقاة ربّه [illegible] افعم نفسهُ تعزيةً في تلك الساعة وكان ينظر بكل ثقة الى السماء متبتّلاً وكان آخر ما اوصى به قرينتهُ الاسيفة ان تُعنى كلّ العناية بتربية اولادهما ثمّ لفظ نفسهُ البارّة. وقد اثّرت حفلة جنازته في الجمهور الكبير الذي شيّعها. اجزل الله ثوابهُ وألهم شقيقهُ وجميع آله الصبر الجميل على فقدانه

وما مرّ لسبوع على هذا المصاب حتّى نُعي الينا تلميذ آخر من تلامذة مدرستنا في عزيز المأسوف عليه خليل طنّوس باخوس توفّاه الله فجأة يوم الثلثاء ٢٥ تشرين الاوّل اذ كان يحرّر لجريدته الروضة مقالةً لاستقبال رفات فقيد الدين والوطن السيّد بطرس شبلي فسقط كالجندي الباسل في ساحة الوغى. ولم يكن الموت الفجائي ليرهبهُ وهو يقوم بواجباته الدينيّة بكل حرص ويحضر يوميّاً الذبيحة الطاهرة متشبّعاً بالتعاليم الخلاصيّة التي استقاها في اسرته الكريمة ولدى معلّميه الافاضل. قضى حياته في خدمة الآداب بين الاوراق والمحابر فدرّس في عدّة مدارس ثم انشأ المطبعة اللبنانيّة وحرّر الروضة سنين عديدة ملازماً في تحريرها الخطّة المثلى والدفاع عن الدين. ومن مآثره بعض الروايات التمثيليّة كرواية الحارث بالشعر وتعريب رواية ديتريوس وغير ذلك ممّا يشهد له بحسن الذوق وطول الباع في الكتابة تغمّدهُ الله برحمته

﴿ التحف الفنيّة الفرنسويّة في روسيّة ﴾ اهدانا محلّ بوڤولسكي (J. Povolozky) في باريس درساً كتبهُ احد اساتذة مكتب الفنون في بيتروغراد الدكتور اندره لفنون (M. André Levinson) كشف فيه الستار عمّا أُودع في متاحف

روسيَّة ولاسيَّا في قصور الأُسرة القيصريَّة من الطُرَف الفنيَّة والصور البديعة التي كان المصوَّرون الفرنسويون يعرضونها على قياصرة روسيَّة فيبيعونها منهم سرًّا ويزيِّنون بها قصورهم ولم يسمحوا للباحثين عن مآثر الفرنسويين في الدول الاجنبيَّة ان يزوروها . وقد تمكَّن الآن المسيو لشلسون بعد دخول البولشفيك في بتروغراد من فحص هذه المآثر الفنيَّة الفرنسويَّة ووصفها فأطلع عليها ارباب الفنون الجميلة في فرنسة فكان لوقوفهم عليها احسن وقع وسرُّوا لاكتشافها

﴿ سفر ايوب وقيامة الاجساد ﴾ في سفر ايوب (١٩ : ٢٥-٢٧) آية تدلُّ صريحًا على قيامة الاجساد وهي قوله ٥: « اني لعالم انَّ فاديَّ حيٌّ وسيقوم آخرًا على التراب وبعد ذلك تُلبَس هذه الاعضاء بجلدي ومن جسدي اعاين الله الذي انا اعاينهُ بنفسي وعيناي ترياته لا غيري » . على انَّ القديس افرام ملفان الكنيسة قد وجد في هذا السفر برهانًا آخر على قيامة الموتى كما افادنا حضرة القس يوحنا عزّو السرياني . وذلك انهُ جاء في السفر المذكور انَّ الله بعد محنة ايُّوب « زادهُ ضِعف ما كان لهُ قبلًا » (٤٢ : ١٠) لكنهُ لم يخلف من الاولاد « الَّا سبعة بنين وثلاث بنات » (٤٢ : ١٣)اعني بعدد اولاده قبل محنته . فاين الضِعف المذكور؟ فيجيب القديس افرام لشرح هذا المشكل بقوله ٥: « انَّ الله لم يضاعف عدد اولاده لأنَّ الاولاد الأوَّلين الذين ابتلاه الله بهم قبل محنته سيقومون في اليوم الأخير كالاولاد المولودين بعد محنته وبذلك يتضاعف عدد اولاده كما تضاعف بقيَّة امواله »

﴿ رسالة القمر الى اهل بيروت ﴾ في تاريخ ١٦ تشرين الاوَّل ١٩٢١

أيُّها الأعزَّاء الأكرمون . امَّا بعد فانّي اكتب واللسان يتلجلج فلا ادري بايّ صورة أعبّر لكم عمَّا يكنُّهُ صدري من الشكر لجزيل فضلكم . فلولاكم لكان احتى عليَّ الدهر وعثى نوري . فاني اذ كنتُ سائرًا بكل اطمئنان في فلكي أرسل اليكم اشعَّتي الفضيَّة فاكسو ارضكم بالنور واذا بتنّين هائل خرج عليَّ في طريقي من أعماق الجحيم فوثب على فاشيًا جعافهُ ليلتهمني فكدتُ اموت خوفًا من منظره فصرخت وما كان من مغيث فاخذ التنّين يلتهم قسمًا من جسمي فحينئذ سمعت عنكم نوري فبادرتم مادهمني من الخطر العظيم فقمتم كبوالس الكلمة ومداره الحروب وعمدتم الى صليل الحديد وطرق آنية النحاس والتنك واطلاق البواريد

وضرب الدائم وقرع الاجراس والتأذين على رؤوس المنائر . ومثلكم فعل المتورّدون من اهل لبنان وسوريّة فتصاعدت الضوضاء الى عنان السماء حتّى ظنّ الناس انّ القيامة قد قامت فنهضوا مذعورين من الفراش وصمّت آذانهم لهذه الجلبة وطار النوم من اعينهم لكنكم رأيتم البلاء خفيفاً بالنسبة الى نخوتكم ومروءتكم في نجاتي . والحق يقال أنكم قد عرفتم من اين يؤكل الكتف وادركتم اقرب وسيلة لتردّوا عني ذاك العدوّ الجهنمي فانّهُ اذ سمع تلك الجلبة ارتعدت فرائصهُ وطارت قواهُ وقذف من فيه ما افترسهُ من لحمي وعظامي وفرّ هارباً الى الهاوية التي خرج منها . أمّا انا فأُخذ لكم بدري التمّ وبدا وجهي النيّر لأُظهر لكم شكري . وهاءنذا جوّزت هذا الكتاب ليكون شاهداً مخلّداً على ممنونيّتي . لا زلتم ملجأً لكل ملهوف وعاصماً عن كلّ مبؤوس اثاركم الله بضيائي مدى الدوران ودمتم بسلام

﴿ مُضحكات المقتطف ﴾ نقلنا في عددنا السابق (ص ٧٩٧) بعض آراء المقتطف الغريبة من جملتها ما قالهُ عن انتقال الكلام بالوراثة الى الاطفال . وقد رجع في عددهِ الاخير (اكتوبر ٣٩٨) الى هذه الخرافة وحاول تأييدها بحجج اوهن من نسيج العنكبوت فزعم انّ الطفل في الاعصار القديمة لم يكن عند مولدهِ يعرف ان يرضع ثدي امّهِ وانّما اكتسب ذلك بالوراثة بتمادي الاجيال . وكذلك زعم انّ الديك والطائر استفادا الاوّل صياحهُ والآخر تغريدهُ بالوراثة . فعلى هذا المنوال سيستفيد الاطفال الكلام والنطق بالوراثة قال : « ولكن هذا يستلزم ان تبقى اللغة واحدة الزمن الكافي من السنين لترسيخ آثارها في النفس وانتقالها بالوراثة ... ولا يبعد ان تصير لغة الناس واحدة على مرّ سنين فيسهل ترسيخها وانتقالها بالوراثة » . فانظر رعاك الله ما لا يأنف اصحاب المقتطف من نشرهِ في « مجلة علميَّة » وقد قابلوا هناك بين ما يجري في جسم الانسان من الاعمال الغريزيّة كتحوّل الغذاء الى دم ولحم واعصاب الخ وبين الاعمال البشريّة المنوطة بالعادات واصطلاحات الشعوب وتقلّباتهم كاللغة وخلطوا اموراً يميّزها ادنى الناس عقلاً وادراكاً . فالى هذا الحدّ ابلغتهم دروينيّتهم فيُضحكون منهم العقلاء والجهّال

﴿ شفاء داءَي السل والزهري ﴾ روت جريدة البشير المنير خبر مداواة داءَين عضالين يفتكان بالناس فتكاً ذريعاً ألا وهما السلّ والزهري . فننقل عنها ما كتبت

منتظرين زيادة ايضاح قالت :« صرّح المسيو اليكس كارلسن كاتم اسرار ثلاثة من حكّام كندة ان قد تقرّب جعل الثوم دواء للتدرّن الرئوي وان هذا الداء سيُقضى عليه بخمس سنوات وذكر ان ذلك نتيجة امتحانات طبيّة دلّت على انّ للثوم فائدةً عظمى وسيكون له الفضل الاكبر في محو السلّ من العالم » = وقالت عن الزهري :« ابلغ الدكتور « رو » مدير معهد باستور جمعيّة العلوم خبر علاج جديد للزهري بواسطة الحقن في العضلات بأملاح البِسموت (sels de Bismuth) وقد عولج مئة مصاب بالزهري بهذا العلاج فحصلوا على العلاج التام »

﴿ الآثار القديمة في سوريّة ولبنان ﴾ انّ لجنة علماء الآثار الفرنسويين التي منها المسيو فيرولو المتولّي نظارة الآثار السوريّة والمسيو دي لوره (Mr de Lorey) والمسيو أنلار (Mr Enlart) والمسيو مونته(Mr Montet)والمسيو بيزار(Pézard) بعد انقطاعها مدّة عن الشغل في أيام الصيف عادت موخّرًا الى حفريّاتها . وقد افدنا سابقاً قرّاءنا عمّا اكتشفهُ المسيو بيزار في العام الماضي في تلّ مَنْد قريباً من حمص من عهد الحثيين . ومن جملة ذلك نصبٌ للفرعون ساتي الاوّل الذي ملك على مصر قبل رعمسيس الثاني في القرن الرابع عشر قبل المسيح وبهِ تأكّد انّ اخربة تلّ مَنْد هي قدَس القديمة حاضرة الحثيين وسيعود الى مواصلة شغلهِ في الربيع القادم . وكان المسيو لوره خصّ نفسهُ بحفريّات ام العَمَد جنوبيّ صور حيث اكتشفوا سابقاً عاديّات جليلة وهو اليوم في دمشق يبحث عن الآثار العربيّة القديمة . والمسيو مونته يشتغل اليوم في جبيل الفنيّة بالآثار الفينيقيّة والمصريّة واليونانيّة . وممّا استفدنا منهم انّ مادام دنيز لهلاسور (Mme Denyse Lelasseur) احدى السيّدات العالمة بالاثريّات وخرّيجة مدرسة اللوفر في باريس اهتمّت بحفريّاتٍ في اطراف صور قريباً من المدينة فعثرت على مبانٍ قديمة بينها مصاغات من الذهب والكهرمان والزجاج الصوريّ الشهير ثمّ الخزفيّات اليونانيّة والفينيقيّة والمصابيح والتماثيل الصغيرة الخ . وقد وقفت هناك على دهليزٍ ذي نقوش وصور زاهية الالوان دقيقة الصُنع مع كتابات يونانيّة مهمّة . وممّا بلغنا مؤخّرًا انّ المسيو أنلار في طرطوس اكتشف تحت الكنيسة الراقية الى زمن الصليبيين سرباً واسعاً وآثاراً جليلة لعلّها من كنيستها القديمة الشهيرة

أسئلة وأجوبة

س سألنا الدكتور ا . ج . ماذا تعرف من شجرة العَنْبة وثمرها وهل تصحّ في بلادنا ؟

ج العَنْبة (manguier) من أشجار الهند ومناطق آسية الوسطى الحارة . ذكرها ابن بطوطة في رحلتهِ فقال :

« انّ العَنْبة تشبه النارنج الّا انها اعظم أجراماً واكثر اوراقاً وظلّها اكثف الظلال غير انهُ ثقيل فمن نام تحتهُ وُعك وثمرها على قدر الاجاص الكبير فاذا كان اخضر قبل تمام نضاجهِ اخذوا ما سقط منهُ وجعلوا عليهِ الملح وصيّروهُ كما يُصبَّر الليم والليمون ببلادنا ويأكلون ذلك مع الطعام . واذا نضجت العَنْبة في اوان الخريف اصفرّت حبّاتها فاكلوها كالتفاح فبعضهم يقطعها بالسكين وبعضهم يمصّها مصّاً وهي حلوة يمازج حلاوتها يسير حموضة ولها نواة يزرعونها فتنبت منها الاشجار كما تزرع نوى النارنج وغيرها »

والعنبة اشكال متنوّعة اشهرها العَنْبة الهنديّة ذات اوراق مستطيلة محدّدة كالأسنّة . وقد زرعوها بمصر فنجحت ولا نعلم ايصحّ زرعها في بلادنا لاعتدال حرارتها

س وسأل الكتبيّ الاديب يوسف افندي مقبر : من هو الاب جرجس بنيامين الاسقف المارونيّ والراهب اليسوعي كما ورد في المشرق (١١ [١٩٠٦] ص ٦٠٣) وهل هو المطران جرجس بنيامين المذكور في تاريخ الموارنة للخوري غبريل (ص ٩٧) الذي عاش في اواخر القرن الثامن عشر ؟

المطران جرجس بنيامين

ج وجد اسقفان مارونيّان بهذا الاسم عاش كلاهما في القرن الثامن عشر :

(الاوّل) هو جرجس بن عبيد بن سركيس المدناني أُرسل الى رومية سنة ١٦٧٠ فتخرّج في مدرستها المارونيّة الشهيرة وسيم كاهناً سنة ١٦٨٣ على اهدن ثمّ خلف على كرسيّ اهدن (وقيل على الرها) المطران بولس الدويهي سنة ١٦٩٠ . وقد روى المطران فرحات اخبارهُ مع البطريرك يعقوب عوّاد (راجع سلسلة البطاركة الموارنة للدويهي الطبعة الثانية ص ١٨٢ — ١٨٤) . ثمّ استعفى عن الاسقفيّة ودخل الرهبانيّة اليسوعيّة سنة ١٧١٩ برخصة الحبر الاعظم وتوفّي في رومية في ٨ ك ١ سنة ١٧٤٣ واخبارهُ كثيرة — امّا (الثاني) فكان ايضاً من أُسرة عبيد من اهدن وانّما عاش في اواخر القرن الثامن عشر ذكرهُ الطيب الذكر المطران يوسف الدبس في تاريخ سوريّة (٨ : ٥٨٧) وقال انهُ تثبّت سنة ١٧٩٠ مطراناً على طرابلس ولم يذكرهُ صديقنا الشيخ الاديب سليم دحداح في سلسلة مطارنة طرابلس (المشرق ٨ [١٩٠٥] : ٤٠٣)

ل . ش